# طفرتنا الثقافية

تأليف

أ.د. محمد بن عابد باخطمه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية : ٢٠٠٩ / ٧٢٤ Legal Deposit No. :
الرقـــم الدولـــي (ردمـــــك) : ٩ - ٨٨ - ٤٥ - ٩٩٩٢١ ISBN :

جميع حقوق الطبع محفوظة لدى المؤلف

الطبعة الأولى (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)

# المحتويات


| الموضوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| المقدمة | ٥ – ٧ |
| اغتيال المصطلح | ٩ – ٢٦ |
| بناء التصور | ٢٧ – ٣٥ |
| التشخيص | ٣٧ – ٤٣ |
| النار لا تطفىء اللهب | ٤٥ – ٥٤ |
| المرأة وإبداء الرأي | ٥٥ – ٦٢ |
| المناهج الشرعية | ٦٣ – ٧٠ |
| الموقف الاجتماعي | ٧١ – ٧٦ |
| ما هو المطلوب ؟! | ٧٧ – ٨٣ |
| التوقعات | ٨٥ – ٨٩ |
| دعاء وشكر...!! | ٩٠ |

# المقدمة

ما أكتبه الآن ومن منطلق شرعي إسلامي ، إنما هو رأيٌ شخصيٌّ و مشاركة فردية فيما يجرى من أحداث عندي يقين جازم أنها ستكون تاريخية عندما تنتهي ، وأقول عندما تنتهي، لأن الأحداث لا تصبح تاريخاً يمجد صانعوه ،أو يلعنوا، إلا بعد أن تظهر النتائج ويأتي جيل آخر ليقيم ما حدث قبله ،ونادراً ما يوجد جيل من الناس يعلمون أنهم يصنعون تاريخاً أثناء قيامهم بأعمال محددة، بل إن الغالب أن يصنع الناس أشياء يعتقدون أنها تخدم مصالحهم الآنية والمستقبلية،ثم يأتي آخرون ليدونوا ما حدث،فيكتب التاريخ.

إن الحقبة التي نعيشها اليوم في المملكة العربية السعودية والذي يمثل هذا اليوم الذي بدأت أكتب فيه هذا العمل الثلاثاء الثامن والعشرين من ذي الحجة عام ١٤٢٤هـ الموافق العشرون من يناير ٢٠٠٤م، أحد أيامها هي حقبة ستكون تاريخية وهي بمثابة أشهر الحمل التي يتبعها مخاض ثم ولادة وسيكون لها تأثير كبير على مستقبل بلادنا وسوف تكون مجالاً للبحث والتدقيق وسيكون حول ما يتخذ فيها من قرارات وأفعال ونتائج وتفاعلات جدل واسع من جيل أبنائنا بل ربما منا نحن أنفسنا .

في ظني أنه لو أراد باحث بعد عشرين عاماً مثلاً أن يبحث في جذور التغيرات الاجتماعية و الأوضاع التي يعيشها ثم أراد الرجوع إلى أدبيات زمننا الحاضر فإنه سيجد آراء ومساجلات وإعجاب كل ذي رأي برأيه ولكنه لن يجد نقداً محايداً أو وصفاً موضوعياً لما يحدث، أكتب كتابي هذا لأنني أريد أن أكون مساهماً في إيجاد همزة وصل وجسر وئام ومحبة بين الحاضر والمستقبل. وهذا الرأي الذي أكتبه، اخترت كتابته للمستقبل ولمن سيأتون بعد حقبتنا هذه؛ لأنني أعلم أنه سيكون منهم المهتم بالبحث عن رأي موضوعي لبعض مَنْ كانوا معاصرين ،وذلك ليقيّموا هذه الفترة ومادار فيها. أريد أن أكون مصدر خير ومعرفة لأجيالنا التي ستكون بعدنا والتي تريد أن تعود إلينا وقتما تشاء وحينما تريد لتستفيد أو حتى لتكتشف جذور المشاكل التي سيعيشونها، والإنجازات التي يستفيدون منها. و لبناء مثل هذا الجسر أو همزة الوصل هذه أهمية تتضح عندما ننظربعين الباحث الدارس إلى واقعنا الاجتماعي والثقافي والاقتصادي اليوم ونقارنه بما كان منذ حوالي عشرين عاما،الباحث في أوضاعنا الاجتماعية اليوم يلحظ أن التغيرات التي حدثت كانت كلها قفزات من واقع إلى واقع آخر نظن أنه أفضل مما سبق ، لم ننتقل من حال إلى حال بصورة متدرجة متوقعة سلفاً، بل نجد أنفسنا في واقع يفرض نفسه علينا فنضطر للتأقلم معه وما نلبث أن نتأقلم حتى نواجه بواقع آخر فنقفز قفزة أخرى ، ولأننا قفزنا كثيراً فقد ظننا أن القفزات هي السبيل الطبيعي للانتقال من واقع إلى آخر بل ربما اعتبرنا أن الوسيلة المنطقية للانتقال هي القفز، الحقائق تدل على أن واقعنا الثقافي في العشرين عاماً الماضية أشبه بنافورة الماء التي تعطي

منظـراً جماليـاً حين تدفع الماء للأعلـى بقوة ثم يكون هبوطاً سريعاً مفاجأ لعمـود الماء، وذلك مع إحداث جلبـة وصوت يجلب الانتباه و دون أن تتعدى ارتفاع معلـوم يحدده أقصى قوة دفع لطاقة المكينة التي تدفع المـاء إلى أعلى من خزان النافـورة المحتوي على كمية الماء المسموح بإستخدامها سلفاً. هدف النافورة هو اجتذاب الانتباه وإمتاع الآخرين، وتظل النافورة تجذب الانتباه وتمتع الآخرين حتى تتوقف الطاقة الدافعة لها وهي ليست ذاتيةبل خارجية عنها.

بينما لو نظرنا إلى تاريخنا كأمة مسلمة لوجدنا أننا كنا ننتقل من مرحلة إلى أخرى مشياً وعندما كان أجدادنا العظماء يواجهون واقعاً غير الذي يعيشونه فإنهم يتفاعلون معه ويبنون معه الجسور وهكذا كانوا يستطيعـون أن يمتـدوا بواقعهم وإيجابياتهم إلى الواقع الآخر وفي نفس الوقت كانوا يسمحون للواقع الآخر أن يحضـر إليهـم إن أرادوا المشاركـة الفاعلة في التطوير الذاتي للمجتمع أو حتـى إحداث تغيير إيجابي ، فقـد كان واقعهم الثقـافي أشبه بماء العين ينساب ويشق طريقه وعند مواجهـة عقبات فإنه لا يقفز عليها بـل يحتويها ويغمرهـا أو يلتف حولها، فهدف عين الماء هو تقديم رسالة والقيـام بمهمة، وعين الماء تفضل النضوب إن هي لم تستطع تكوين نهر أو بحيرة أو واحة، أوعلى أقل تقدير ساهمت في صناعة بعض حبات المطـر، تأبى عـين الماء إلا أن تقوم بمهمتها في الحياة ورسالتها التي هي سبـب وجودها إستناداً إلى طاقة مستمدة من ذاتها نفسها .

كان أجدادنـا وآباؤنـا ومـا زال بعضنا عيون ماء تعطـي بقدر ما تسمح لهم طاقتهـم الذاتية، من أجل رسالة ومهمة وعندما تنضب طاقتهم الذاتية فإنهم يستمدون طاقة بقائهم من النظر إلى انجازات قاموا ببنائهـا بطاقتهـم الذاتية ، ثم يعبرون جسر الـبرزخ من حياتهم إلى أخراهم راجـين أن يجدوا الامتداد الطبيعي لحياة كانت من أجل هدف ورسالة. كثير من مثقفينا اليوم مثل النافورة يرتفع بقدر ماتسمح قوة الدفـع من الماكينة الخارجية ويستمدون طاقة بقائهم من إعجاب الآخرين بهم، وعندما تنضب طاقة من يدفعهـم إلى أعلى فإنهم يبحثون عن قوة خارجيـة أخرى، لتدفعهم للأعلى فيصبح بقاؤهم مرهوناً بقوة الدفع الخارجية، وعندما لا يوجد من يستمتع بمنظر النافورة فإنها تفقد مبرر وجودها و تنتهي رسالتها، ولهذا فهي بحاجة ماسة ودائمة لمن يمجدونها ويلتفون حولها وهي تقفز إلى الأعلى وتنهار إلى الأسفل .

لقـد أسميت هذا العمـل بـ «الطفرة الثقافية» لسبب بسيط هو تشابهها مع ما حدث في الطفرة المالية التـي مـرَّت بنا، ولا ننكـر أن الطفرة النقدية التي مـرَّت بنا كان يمكن لها أن تكون تطـوراً اقتصادياً بدلاً مـن طفرة، فالطفرة في معناها هي خروج فجائي سريع عن المألوف أما التطور فمعناه الانتقال التدريجي مـن مرحلـة إلى أخرى للوصول إلى هدف محدد .ولقد إنهال علينا المال من كل حدب وصوب أثناء سنوات الطفـرة النقدية المالية ، وحدثت التغيرات الأخلاقيـة والاجتماعية والجوهرية التي حدثت وعندما هدأت

هـذه الطفرة رأينا تفككاً اجتماعياً يتمثل في غياب بنية تحتية، وعجز اقتصادي، بالطبع إلى جانب عمائر شاهقة في واجهات الشوارع الرئيسة وطرق معبدة .... الخ .واليوم وبعد دخول الفضائيات والانترنت و ١١ سبتمبرومعـه محاولات الهيمنـة الأمريكية وجدنا أنفسنا منفتحين على العـالم ، ولأننا أثبتنا لأنفسنا أننا لم نحسـن استخـدام المال، فإن بعضنا اقتنع أننا لا نحسن استخـدام العقل أيضاً، فكما استخدم البعض الطفرة النقدية في تجارة الأراضي ونسي الاستثمار ونفع البلاد والعباد ، يحاول البعض استخدام الانفتاح الثقـافي اليوم في تحقيق مكاسب الشهرة وتغيير الملامـح والأسس الثقافية للمجتمع ، نتائج الطفرة المالية كانـت دمـاراً اقتصادياً ، نتائج الطفرة الثقافية ستكون دماراً إنسانيـاً وما قيمة ذهب بلا إنسان؟! . أؤكد أننـي لم أكتـب هذا الكتاب لأنني أعتقد أنه سيحدث تغييراً جوهرياً أو أشارك ( المشاركة هي صنع جزئية محـدودة للوصول إلى هـدف متفق عليه ) فيما يدور من أحداث ثقافية اليـوم فالمشاركة غير متاحة ، وما يدور اليوم هو في الحقيقية جمع زخم وحشو تأييد لأجندة عمل غير واضحة للجميع ، وإنما كتبته ليعلم من سيقرأه في المستقبل أن في الماضي كان يوجد من يهتم بوضع أساس لجسور التواصل، وهي نقطة تحتاجها أمتنا في القادم من الأيام ، وكتبته للمندفعين بفعل قوة خارجية فلعلهم يتوقفون قليلاً بين القفزات ليقيّموا ما فات ويضعوا خططاً لما هو قادم وكتبته قبل هذا وذاك لأنني أعشق الرأي الحر .

ملاحظة:

كتبت هذا العمل وانتهيت منه ووضعته في درجي لأقارنه بما يحدث لمدة سنتين ثم دفعته لأخذ تصريحاً ولم يصـدر في حقـه منع أو فسح حتي قدمته للفسح في قطر فصدر الفسـح بطباعته ونشره في غضون أسابيع قليلة ،وحدثت بعد ذلك أحداث أحسب أنها زادتني قناعة بما فيها أحداث غزة و إنتخاب أوباما وكلمته في القاهرة وغيرها من شبيهاتها و الأيام حُبلى.

**أ.د محمد بن عابد باخطمه**

قسم الجراحة

كلية الطب جامعة الملك عبد العزيز

المستشفى الجامعي بجدة

ص.ب ٨٠٢١٥ جدة ٢١٥٨٩

# الفصل الأول

# اغتيال المصطلح

# اغتيال المصطلح

مـن بعض مـا يميزنا كبشر عن الحيوان هو العقـل الذي نفهم به وليس المخ الـذي يتحكم في عملياتنا الحيويـة والميكانيكية ، وكذلك قدرتنا على النطق بكلام له معنـى عندنا وليس بمجرد القدرة على إخراج أصوات عالية تجذب الانتباه .

إن الـكلام الـذي نتحدث به مع بعضنا البعض إنما هو مصطلحات اتفقنا على دلالات معانيها ، وبدون أن تكـون للكلمـات أو المصطلحات معانٍ مفهومة فلن يكون للتحـدث أي معنى أو قيمة، فمالم يكن شخص مـا يفهـم لغة بـل ربما لهجة من يتحدث معـه فمن المستحيل أن يعـي أو يفهم مراده ، وبهـذه المناسبة ما زلـت أذكـر أنني ذهبت في رحلة علمية إلى السويد وكنت أتحدث مـع رجل تونسي عربي عن طريق صديق سينغـالي يترجـم بيننا فهـو يسمع مـن التونسي باللغـة الفرنسية ثـم يترجمهـا إلى الانجليزية ويترجم انجليزيتـي إلى فرنسيـة ليفهمها التونسي ، والسبـب عدم قدرتنا على التحدث مـع بعضنا بلغتنا العربية بسبـب اختلاف اللهجات . والمصطلح قضية مهمة لأنهـا تُستخدم لشرح موقف أو قضية أيضاً فاستخدام مصطلح جميل للدلالةعلى فعلٍ مشين يحسن صورة الفعل والعكس صحيح ،إذن المصطلح قضية مهمة في التفاهـم والحديث والحوار وبدون الاتفاق على معنى محدد لكل مصطلح فإن لغة الحوار قد تتعطل تماماً وإن فُهمت فلربما فهم كل طرف مقصود مختلف من نفس الكلمة .

وليـس أدل على أهمية المصطلح من تعليم آدم عليه السـلام أسماء كل شيء بعد اكتمال خلقه وجعلها ميزة له قال تعالى: « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة » الآية . وكما شرح المفسرون إن الله سبحانـه وتعـالى علم آدم الأسماء الدالة على كل شيء ، وكما لا يخفى فإن أي شيء جديد يتم اكتشافه في العلـم الحديث لابـد وأن يعطي اسماً يدل عليه ولو تأملنا قليلاً في أهميـة القضية لوجدناها تتعدى مجرد اعتبـار المصطلحـات مجرد كلمات ذات دلالة على أشياء بل هـي كلمات تدل على معانٍ أيضاً بل وصفات ، ولذلـك فإن استخدام المصطلحـات بنفس الطريقة التي تم اصطلاح الناس عليهـا أمراً في غاية الأهمية حتى لا تختلط المفاهيم وبالتالي تختلط المواقف من تلك المفاهيم.

وقـد تستجـد أمور وأفعال وصفات ليس لها مصطلح متفـق عليه لدى المجتمع فتبرز الحاجة إلى وضع مصطلـح لوصـف الأمـر الجديد ويكون بعـد ذلك كلمة مرجعية تعـود إلى معنى معروف وهـو ذلك الأمر المستجد ، والأمثلة كثيرة جداً فمثلاً بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- برزت الحاجة لكتابة السنة النبويـة ، وبرز معها الحاجة لتدوين المحفوظ منهـا وكتابته، وتبعاً لذلك برزت الحاجة الماسة للحكم على أمانة من يقولوا أنهم يحفظون الحديث ،الذي يُعتبر مصدراً للتشريع و بالتالي يكون له أهمية أولية عند المسلمين، فنشأ علم مستقل بذاته هو علم الحديث واشتق منه علم الرجال واستخدمت فيه ألفاظ محددة

تحمل معان تصف حال الرجال وطريقة إسناد الخبر والحكم على المتن وتم إختيار مصطلحات متعارف عليها، فعندما يقال سند الحديث فإن هذا يعني الأشخاص الذين تناقلوا هذا الحديث ، و متن الحديث هو النص المنقول قولا عن الرسول- صلى الله عليه - وسلم، ثم هناك مصطلحات معروفة تدل على كل حديث إن كان ذكر بمعناه أو هو مروىٌ أو كما سُمع من الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو عن طريق صحابي سمعه .. الخ ، ثم تم وضع مصطلحات تدل على صفة أمانة الرجال من حيث دقة نقلهم فظهر مصطلح صدوق وهو من لا يكذب أبداً وصادق وكذاب ، وضعيف ومتروك ويخلط وثقة ثقة.. الخ، وغيرها من المصطلحات المتعارف عليها بين المشتغلين بعلم الحديث حتى أصبحت كل كلمة مصطلحاً يدل على معنى محدد بعينه ، وكذلك في علم الفقه ، فقد ظهرت مصطلحات الحرام ، المكروه ، المباح ، الواجب، وغيرها وفي التوحيد وفي غيرذلك من العلوم التي دعت الحاجة لاستحداثها، ومن أهم ما ساعد على توحيد هذه الكلمات وتأديتها لمهمتها كمصطلحات هو اتفاق علماء كل علم واتفاق العلماء جميعهم على هذه التسميات وتوحيدها ،ومما سهل الاتفاق هو اشتقاق المعاني من اللغة العربية ومن قواعدها المتفق عليها .

إن من أخطر ما يمكن أن يحدث هو أن يتم وضع مصطلح معروف معناه على أمر يغاير الحقيقة التي يدل عليها أصل المصطلح ،ولأهمية هذه القضية بالذات، أي تطابق المعنى المقصود مع الكلمات المنطوقة أو المقروءة ( المصطلح ) نجد أن جميع العقود المبرمة مهما كانت صغيرة كعقود الإيجار أو كبيرة مثل انضمام الشركات تبدأ بمقدمة تشرح معاني المصطلحات والمقصود منها عند ذكرها في العقد وكذلك في الاتفاقيات الدولية والمعاهدات السياسية نجد تعريفاً للمصطلحات المستخدمة في وثائق المعاهدات والاتفاقيات ، وفي الأنظمة والقوانين والتشريعات المنظمة لحياة الناس، نجد تعريفات للمصطلحات المستخدمة ولا فرق في ذلك بين الدول الصناعية المتقدمة والنامية، بل إن الاهتمام الدقيق بتحرير تعريف المصطلح يكون له أهمية لدى الدول المتقدمة أكثر من غيرها ، وفي القضاء أيضاً هناك تعريف دقيق لكل مصطلح وقد يسجن شخص مدى الحياة أو يتم تبرئته بناء على تطابق فعلته على تعريف مصطلح معروف، فمثلا القاتل دفاعا عن النفس ليس كالقاتل عندما يتعسف باستخدام قوة لدفع أذى قد يلحق به على الرغم من أن الفعل، واحد وهو القتل والأمثلة على مدى أهمية تحقيق المصطلح لا يحصيها عدد ، وفي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة دلائل تشير على أهمية استخدام الكلمة المحددة في الموقع الذي يصف المعنى المراد ولنضرب بعض الأمثلة لتوضيح القضية :

قال تعالى: « يا أيها الذين أمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وأسمعوا وللكافرين عذاب أليم » البقرة: ١٠٤ قال ابن كثير :(نَهَى اللَّه تَعَالَى عِبَاده الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالْكَافِرِينَ فِي مَقَالهمْ وَفِعَالهمْ وَذَلِكَ أَنَّ

الْيَهُود كَانُوا يُعَانُونَ مِنْ الْكَلَام مَا فِيهِ تَوْرِيَة لِمَا يَقْصِدُونَهُ مِنْ التَّنْغِيص عَلَيْهِمْ لَعَائِن اللَّه فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا اِسْمَعْ لَنَا يَقُولُوا رَاعِنَا وَيُوَرُّونَ بِالرُّعُونَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى« مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَم وَلَكِنْ لَعَنَهُمْ اللَّه بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا »وَكَذَلِكَ جَاءَتْ الْأَحَادِيث بِالْإِخْبَارِ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَلَّمُوا إِنَّمَا يَقُولُونَ السَّامّ عَلَيْكُمْ، وَالسَّامّ هُوَ الْمَوْت وَلِهَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَرُدّ عَلَيْهِمْ بِـ« وَعَلَيْكُمْ» وَإِنَّمَا يُسْتَجَاب لَنَا فِيهِمْ وَلَا يُسْتَجَاب لَهُمْ فِينَا وَالْغَرَض أَنَّ اللَّه تَعَالَى نَهَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُشَابَهَة الْكَافِرِينَ قَوْلًا وَفِعْلًا فَقَالَ تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيم».

وقال تعالى: «ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون » البقرة الآية: ١٥٤ . قال ابن كثير : وَقَوْله تَعَالَى : « وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّه أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ » يُخْبِر تَعَالَى أَنَّ الشُّهَدَاء فِي بَرْزَخهمْ أَحْيَاء يُرْزَقُونَ كَمَا جَاءَ فِي صَحِيح مُسْلِم « إِنَّ أَرْوَاح الشُّهَدَاء فِي حَوَاصِل طُيُور خُضْر تَسْرَح فِي الْجَنَّة حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيل مُعَلَّقَة تَحْت الْعَرْش فَاطَّلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّك اِطِّلَاعَة فَقَالَ مَاذَا تَبْغُونَ ؟ فَقَالُوا يَا رَبّنَا وَأَيّ شَيْء نَبْغِي وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقك ؟ ثُمَّ عَادَ عَلَيْهِمْ بِمِثْلِ هَذَا فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَا يَتْرُكُونَ مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا قَالُوا نُرِيد أَنْ تَرُدّنَا إِلَى الدَّار الدُّنْيَا فَنُقَاتِل فِي سَبِيلك حَتَّى نُقْتَل فِيك مَرَّة أُخْرَى - لِمَا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَاب الشَّهَادَة - فَيَقُول الرَّبّ جَلَّ جَلَالُهُ: إِنِّي كَتَبْت أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ » . وَفِي الْحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَام أَحْمَد عَنْ الْإِمَام الشَّافِعِيّ عَنْ الْإِمَام مَالِك عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن كَعْب بْن مَالِك عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « نَسَمَة الْمُؤْمِن طَائِر تَعْلَق فِي شَجَر الْجَنَّة حَتَّى يُرْجِعهُ اللَّه إِلَى جَسَده يَوْم يَبْعَثهُ » فَفِيهِ دَلَالَة لِعُمُومِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا وَإِنْ كَانَ الشُّهَدَاء قَدْ خُصِّصُوا بِالذِّكْرِ فِي الْقُرْآن تَشْرِيفًا لَهُمْ وَتَكْرِيمًا وَتَعْظِيمًا .

وقال تعالى: «ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام» النحل الآية : ١٦ قال ابن كثير :.. ثُمَّ نَهَى تَعَالَى عَنْ سُلُوك سَبِيل الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ حَلَّلُوا وَحَرَّمُوا بِمُجَرَّدِ مَا وَصَفُوهُ وَاصْطَلَحُوا عَلَيْهِ مِنْ الْأَسْمَاء بِآرَائِهِمْ مِنْ الْبَحِيرَة وَالسَّائِبَة وَالْوَصِيلَة وَالْحَام وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا كَانَ شَرْعًا لَهُمْ اِبْتَدَعُوهُ فِي جَاهِلِيَّتهمْ فَقَالَ « وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِف أَلْسِنَتكُمْ الْكَذِب هَذَا حَلَال وَهَذَا حَرَام لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّه الْكَذِب » وَيَدْخُل فِي هَذَا كُلّ مَنْ اِبْتَدَعَ بِدْعَةً لَيْسَ لَهُ فِيهَا مُسْتَنَدٌ شَرْعِيّ أَوْ حَلَّلَ شَيْئًا مِمَّا حَرَّمَ اللَّه أَوْ حَرَّمَ شَيْئًا مِمَّا أَبَاحَ اللَّه بِمُجَرَّدِ رَأْيه وَتَشَهِّيه وَمَا فِي قَوْله « لِمَا تَصِف » مَصْدَرِيَّة أَيْ وَلَا تَقُولُوا الْكَذِب لِوَصْفِ أَلْسِنَتكُمْ ثُمَّ تَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّه الْكَذِب لَا يُفْلِحُونَ » أَيْ لا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَة.

وقال تعالى«وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » البقرة الآية :١١.

قال ابن كثير : قَالَ السُّدِّيّ فِي تَفْسِيره عَنْ أَبِي مَالِك وَعَنْ أَبِي صَالِح عَنْ ابْن عَبَّاس وَعَنْ مُرَّة الطَّيِّب الْهَمْدَانِيّ عَنْ ابْن مَسْعُود وَعَنْ أُنَاس مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْض قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ » قَالَ هُمْ الْمُنَافِقُونَ أَمَّا لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْض قَالَ الْفَسَاد هُوَ الْكُفْر وَالْعَمَل بِالْمَعْصِيَةِ وَقَالَ أَبُو جَعْفَر عَنْ الرَّبِيع بْن أَنَس عَنْ أَبِي الْعَالِيَة فِي قَوْله تَعَالَى « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْض » قَالَ يَعْنِي لَا تَعْصُوا فِي الْأَرْض وَكَانَ فَسَادهمْ ذَلِكَ مَعْصِيَة اللَّه لِأَنَّهُ مَنْ عَصَى اللَّه فِي الْأَرْض أَوْ أَمَرَ بِمَعْصِيَتِهِ فَقَدْ أَفْسَدَ فِي الْأَرْض لِأَنَّ صَلَاح الْأَرْض وَالسَّمَاء بِالطَّاعَةِ وَهَكَذَا قَالَ الرَّبِيع بْن أَنَس وَقَتَادَة وَقَالَ ابْن جُرَيْج عَنْ مُجَاهِد: « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْض » قَالَ إِذَا ارتكبوا مَعْصِيَة اللَّه فَقِيلَ لَهُمْ لَا تَفْعَلُوا كَذَا، وَكَذَا قَالُوا : إِنَّمَا نَحْنُ عَلَى الْهُدَى مُصْلِحُونَ . وَقَالَ وَكِيع وَعِيسَى بْن يُونُس وَعَتَّام بْن عَلِيّ عَنْ الْأَعْمَش عَنْ الْمِنْهَال بْن عَمْرو عَنْ عَبَّاد بْن عَبْد اللَّه الْأَسَدِيّ عَنْ سَلْمَان الْفَارِسِيّ « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْض قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ» قَالَ سَلْمَان لَمْ يَجِيء أَهْل هَذِهِ الْآيَة بَعْدُ . وَقَالَ ابْن جَرِير حَدَّثَنِي أَحْمَد بْن عُثْمَان بْن حَكِيم حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن شَرِيك حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ الْأَعْمَش عَنْ زَيْد بْن وَهْب وَغَيْره عَنْ سَلْمَان الْفَارِسِيّ فِي هَذِهِ الْآيَة قَالَ مَا جَاءَ هَؤُلَاءِ قَالَ ابْن جَرِير يَحْتَمِل أَنَّ سَلْمَان -رَضِيَ اللَّه عَنْهُ- أَرَادَ بِهَذَا أَنَّ الَّذِينَ يَأْتُونَ بِهَذِهِ الصِّفَة أَعْظَم فَسَادًا مِنْ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَن النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أَنَّهُ عَنَى أَنَّهُ لَمْ يَمْضِ مِمَّنْ تِلْكَ صِفَته أَحَد قَالَ ابْن جَرِير فَأَهْل النِّفَاق مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْض بِمَعْصِيَتِهِمْ فِيهَا رَبَّهُمْ وَرُكُوبهمْ فِيهَا مَا نَهَاهُمْ عَنْ رُكُوبه وَتَضْيِيعهمْ فَرَائِضه وَشَكّهمْ فِي دِينه الَّذِي لَا يُقْبَل مِنْ أَحَد عَمَل إِلَّا بِالتَّصْدِيقِ بِهِ وَالْإِيقَان بِحَقِيقَتِهِ وَكَذِبهمْ الْمُؤْمِنِينَ بِدَعْوَاهُمْ غَيْر مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ الشَّكّ وَالرَّيْب وَمُظَاهَرَتهمْ أَهْل التَّكْذِيب بِاَللَّهِ وَكُتُبه وَرُسُله عَلَى أَوْلِيَاء اللَّه إِذَا وَجَدُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا فَذَلِكَ إِفْسَاد الْمُنَافِقِينَ فِي الْأَرْض وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ مُصْلِحُونَ فِيهَا . وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ حَسَن فَإِنَّ مِنْ الْفَسَاد فِي الْأَرْض اتِّخَاذ الْمُؤْمِنِينَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ كَمَا قَالَ تَعَالَى « وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضهمْ أَوْلِيَاء بَعْض إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَة فِي الْأَرْض وَفَسَاد كَبِير » فَقَطَعَ اللَّه الْمُوَالَاة بَيْن الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى « يَا أَيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِنْ دُون الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا » ثُمَّ قَالَ «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْك الْأَسْفَل مِنْ النَّار وَلَنْ تَجِد لَهُمْ نَصِيرًا» فَالْمُنَافِق لَمَّا كَانَ ظَاهره الْإِيمَان اشْتَبَهَ أَمْره عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَكَانَ الْفَسَاد مِنْ جِهَة الْمُنَافِق حَاصِل لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي غَرَّ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ الَّذِي لَا حَقِيقَة لَهُ وَوَالَى الْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَوْ أَنَّهُ اسْتَمَرَّ عَلَى حَاله الْأَوَّل لَكَانَ شَرّه أَخَفّ وَلَوْ أَخْلَصَ الْعَمَل لِلَّهِ وَتَطَابَقَ قَوْله وَعَمَله لَأَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْض قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ «أَيْ نُرِيد أَنْ نُدَارِي الْفَرِيقَيْنِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ وَنَصْطَلِح مَعَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كَمَا قَالَ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق عَنْ مُحَمَّد بْن أَبِي مُحَمَّد عَنْ عِكْرِمَة أَوْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْض

قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ » أَيْ إِنَّمَا نُرِيد الْإِصْلَاح بَيْن الْفَرِيقَيْنِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْل الْكِتَاب .

وقال تعالى: «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » الحجرات الآية ( ١٤ )

قال ابن كثير : يَقُول تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الْأَعْرَاب الَّذِينَ أَوَّل مَا دَخَلُوا فِي الْإِسْلَام ادَّعَوْا لِأَنْفُسِهِمْ مَقَام الْإِيمَان وَلَمْ يَتَمَكَّن الْإِيمَان فِي قُلُوبهمْ بَعْد « قَالَتْ الْأَعْرَاب آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُل الْإِيمَان فِي قُلُوبكُمْ » وَقَدْ اُسْتُفِيدَ مِنْ هَذِهِ الْآيَة الْكَرِيمَة أَنَّ الْإِيمَان أَخَصُّ مِنْ الْإِسْلَام كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة ، وَيَدُلّ عَلَيْهِ حَدِيث جِبْرِيل عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام حِين سَأَلَ عَنْ الْإِسْلَام ثُمَّ عَنْ الْإِيمَان ثُمَّ عَنْ الْإِحْسَان فَتَرَقَّى مِنْ الْأَعَمّ إِلَى الْأَخَصّ ثُمَّ لِلْأَخَصِّ مِنْهُ وَقَالَ الْإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق أَخْبَرَنَا مَعْمَر عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ عَامِر بْن سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ أَعْطَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِجَالًا وَلَمْ يُعْطِ رَجُلًا مِنْهُمْ شَيْئًا فَقَالَ سَعْد رَضِيَ اللَّه تَعَالَى عَنْهُ يَا رَسُول اللَّه أَعْطَيْت فُلَانًا وَفُلَانًا وَلَمْ تُعْطِ فُلَانًا شَيْئًا وَهُوَ مُؤْمِن فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوْ مُسْلِم » حَتَّى أَعَادَهَا سَعْد رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ثَلَاثًا وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول « أَوْ مُسْلِم » ثُمَّ قَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنِّي لَأُعْطِي رِجَالًا وَأَدَع مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ فَلَمْ أُعْطِهِ شَيْئًا مَخَافَة أَنْ يُكَبُّوا فِي النَّار عَلَى وُجُوههمْ » أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيث الزُّهْرِيّ بِهِ فَقَدْ فَرَّقَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْن الْمُؤْمِن وَالْمُسْلِم فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَان أَخَصُّ مِنْ الْإِسْلَام ، وَقَدْ قَرَّرْنَا ذَلِكَ بِأَدِلَّتِهِ فِي أَوَّل شَرْح كِتَاب الْإِيمَان مِنْ صَحِيح الْبُخَارِيّ وَلِلَّهِ الْحَمْد وَالْمِنَّة وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ ذَاكَ الرَّجُل كَانَ مُسْلِمًا لَيْسَ مُنَافِقًا لِأَنَّهُ تَرَكَهُ مِنْ الْعَطَاء وَوَكَلَهُ إِلَى مَا هُوَ فِيهِ مِنْ الْإِسْلَام فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَاب الْمَذْكُورِينَ فِي هَذِهِ الْآيَة لَيْسُوا بِمُنَافِقِينَ وَإِنَّمَا هُمْ مُسْلِمُونَ لَمْ يَسْتَحْكِمْ الْإِيمَان فِي قُلُوبهمْ فَادَّعَوْا لِأَنْفُسِهِمْ مَقَامًا أَعْلَى مِمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ فَأُدِّبُوا فِي ذَلِكَ وَهَذَا مَعْنَى قَوْل اِبْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وَإِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ وَقَتَادَة وَاخْتَارَهُ اِبْن جَرِير وَإِنَّمَا قُلْنَا هَذَا لِأَنَّ الْبُخَارِيّ رَحِمَهُ اللَّه ذَهَبَ إِلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا مُنَافِقِينَ يُظْهِرُونَ الْإِيمَان وَلَيْسُوا كَذَلِكَ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر وَمُجَاهِد وَاِبْن زَيْد أَنَّهُمْ قَالُوا فِي قَوْله تَبَارَكَ وَتَعَالَى " وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا " أَيْ اِسْتَسْلَمْنَا خَوْف الْقَتْل وَالسَّبْي قَالَ مُجَاهِد نَزَلَتْ فِي بَنِي أَسَد بْن خُزَيْمَةَ وَقَالَ قَتَادَة نَزَلَتْ فِي قَوْم امْتَنُّوا بِإِيمَانِهِمْ عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحِيح الْأَوَّل أَنَّهُمْ قَوْم ادَّعَوْا لِأَنْفُسِهِمْ مَقَام الْإِيمَان وَلَمْ يَحْصُل لَهُمْ بَعْد فَأُدِّبُوا وَأُعْلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَصِلُوا إِلَيْهِ بَعْد وَلَوْ كَانُوا مُنَافِقِينَ لَعَنَّفُوا وَفُضِحُوا كَمَا ذُكِرَ الْمُنَافِقُونَ فِي سُورَة بَرَاءَة ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ تَأْدِيبًا « قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُل الْإِيمَان فِي قُلُوبكُمْ » ( أَيْ لَمْ تَصِلُوا إِلَى حَقِيقَة الْإِيمَان بَعْد ) ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: « وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّه وَرَسُوله لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالكُمْ شَيْئًا» ( أَيْ لَا يُنْقِصكُمْ مِنْ أُجُوركُمْ شَيْئًا ) كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ « وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلهمْ مِنْ شَيْء » وَقَوْله تَعَالَى « إِنَّ اللَّه غَفُور رَحِيم » أَيْ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَابَ ، « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ » أَيْ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الْكُمَّل» الَّذِينَ آمَنُوا بِاَللَّهِ وَرَسُوله

ثُـمَّ لَمْ يَرْتَابُـوا » ( أَيْ لَمْ يَشُكُّوا وَلَا تَزَلْزَلُوا بَـلْ ثَبَتُوا عَلَى حَال وَاحِدَة ، وَهِيَ التَّصْدِيق الْمَحْض ) « وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسهمْ فِي سَبِيل اللَّه » ( أَيْ وَبَذَلُوا مُهَجهمْ وَنَفَائِس أَمْوَالهمْ فِي طَاعَة اللَّه وَرِضْوَانه» أُولَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ ( أَيْ فِي قَوْلهمْ إِذَا قَالُوا إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ لَا كَبَعْض الْأَعْرَاب الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ الْإِيمَان إِلَّا الْكَلِمَة الظَّاهِـرَة) وَقَالَ الْإِمَـام أَحْمَد : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن غَيْلَان حَدَّثَنَا رِشْدِيـن حَدَّثَنَا عَمْرو بْن الْحَارِث عَنْ أَبِي السَّمْـح عَـنْ أَبِي الْهَيْثَم عَنْ أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ إِنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: « الْمُؤْمِنُونَ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثَلَاثَة أَجْزَاء : الَّذِينَ آمَنُوا بِاَللَّهِ وَرَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسهمْ فِي سَبِيل اللَّه وَالَّذِي يَأْمَنُهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالهمْ وَأَنْفُسهمْ ، وَالَّذِي إِذَا أَشْرَفَ عَلَى طَمَع تَرَكَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

ومن الآيات السابقة وتفسيرها نستدل على أهمية استخدام الكلمات الصحيحة للتدليل على معانٍ تدل عليها نفس الكلمات، ولولا أهمية هذه القضية لما اهتم بها القرآن المنزَّل.

## ومن السنة النبوية

### في سنن النسائي، الإصدار ١,١٣ - للإمام النسائي

أخبرنا سويد ابن نصر قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن ابن عيينة عن عبد الله بن أبي لبيد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول على المنبر: «لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم ألا إنها العشاء». قوله (لا تغلبنكم الأعراب.. الخ) أي الاسم الذي ذكر الله تعالى في كتابه لهذه الصلاة اسم العشاء والأعراب يسمونها فلا تكثروا استعمال ذلك الاسم لما فيه من غلبة الأعراب عليكم بل أكثروا استعمال اسم العشاء موافقة للقرآن، فالمراد النهي عن إكثار اسم العتمة لا عن استعماله أصلا فاندفع ما يتوهم من التنافي بين أحاديث البابين. (فإنهم يعتمون) من أعتم إذ دخل في العتمة وهي الظلمة وعلى بمعنى اللام أي يؤخرون الصلاة ويدخلون في ظلمة الليل بسبب الإبل وحلبها والله تعالى أعلم .

### سنن النسائي، الإصدار ١,١٣ - للإمام النسائي

أخبرنـا محمـد بن عبـد الأعلى عن خالد وهو ابن الحـارث عن شعبة قال: سمعت أبـا بكر بن حفص يقـول: سمعت ابـن محيرز يحدث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليـه وسلم، عن النبي صلى الله عليـه وسلم قال: يشرب ناس من أمتي الخمـر يسمونها بغير اسمها. قوله (يسمونها بغير اسمها) قاله في محل الذم فيدل على أن التسمية والحيلة لا تجعلان الحرام حلالا والله تعالى أعلم.

**فتح الباري، شرح صحيح البخاري، الإصدار ٢,٠٥ - للإمام ابن حجر العسقلاني**

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ حَدَّثَنَا عَطِيَّةُ بْنُ قَيْسٍ الْكِلَابِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنْمٍ الْأَشْعَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَامِرٍ أَوْ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ وَاللَّهِ مَا كَذَبَنِي سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ يَأْتِيهِمْ يَعْنِي الْفَقِيرُ لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ ارْجِعْ إِلَيْنَا غَداً فَيُبَيِّتُهُمْ اللَّهُ وَيَضَعُ الْعَلَمَ وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وقد أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والبخاري في « التاريخ » من طريق مالك بن أبي مريم عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها تغدو عليهم القيان وتروح عليهم المعازف » الحديث.

وفي هذا الحديث وعيد شديد على من يتحيل في تحليل ما يحرم بتغيير اسمه، وأن الحكم يدور مع العلة. والعلة في تحريم الخمر الإسكار، فمهما وجد الإسكار وجد التحريم ولو لم يستمر الاسم. قال ابن العربي: هو أصل في أن الأحكام إنما تتعلق بمعاني الأسماء لا بألقابها، ردا على من حمله على اللفظ.

**المستدرك على الصحيحين،الإصدار ٢,٠٢ - للإمام محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري.**

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا بحر بن نصر، حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن محمد بن عبد الله بن مسلم:أن أبا مسلم الخولاني حج فدخل على عائشة، زوج النبي -صلَّى الله عليه وسلم- فجعلت تسأله عن الشام وعن بردها، فجعل يخبرها فقالت: كيف يصبرون على بردها؟قال: يا أم المؤمنين، إنهم يشربون شرابا لهم يقال له: الطلا .قالت: صدق الله، وبلغ حبي -صلَّى الله عليه وسلم- سمعته يقول: (إن ناسا من أمتي يشربون الخمر، يسمونها بغير اسمها) .هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

**صحيح مسلم بشرح النووي، الإصدار ٢,٠١ - للإمام محي الدين بن شرف النووي.**

(مزيد- دِينَةُ) يعني: أنَّ بعض النَّاس من المنافقين وغيرهم يسمونها يثرب، وإنَّما اسمها المدينة وطابة وطيبة، ففي هذا كراهة تسميتها يثرب.وقد جاء في (مسند أحمد بن حنبل) حديث عن النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- في كراهة تسميتها يثرب. وحكي عن عيسى بن دينار أنَّه قال: من سمَّاها يثرب كتبت عليه خطيئة. قالوا: وسبب كراهة تسميتها يثرب لفظ التثريب الَّذي هو (مزيد).

**تهذيب سنن أبي داود، الإصدار ١,١١ - لابن القيم**

وأيضاً: فقد روى ابن بطة وغيره بإسناد حسن عن أبي هريرة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل» وإسناده مما يصححه الترمذي وأيضاً: فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا أثمانها» و«جملوها» يعني أذابوها وخلطوها، وإنما فعلوا ذلك ليزول عنها اسم الشحم، ويحدث لها اسم آخر وهو الودك، وذلك لا يفيد الحل، فإن التحريم تابع للحقيقة وهي لم يتبدل بيبدل الاسم.وهذا الربا تحريمه تابع لمعناه وحقيقته فلا يزول بتبدل الاسم بصورة البيع كما لم يزل تحريم الشحم بتبديل الاسم بصورة الجمل والإذابة وهذا واضح بحمد الله.وأيضاً: فإن اليهود لم ينتفعوا بعين الشحم، إنما انتفعوا بثمنه، فيلزم من وقف مع صور العقود والألفاظ، دون مقاصدها وحقائقها أن يحرم ذلك، لأن الله تعالى لم ينص على تحريم الثمن وإنما حَرَّم عليهم نفس الشحم ولما لعنهم على استحلالهم الثمن، وإن لم ينص على تحريمه دل على أن الواجب النظر إلى المقصود وإن اختلفت الوسائل إليه، وأن ذلك يوجب أن لا يقصد الانتفاع بالعين ولا ببدلها.ونظير هذا أن يقال: لا تقرب مال اليتيم فتبيعه وتأكل عوضه، وأن يقال: لا تشرب الخمر فتغير اسمه وتشربه، وأن يقال: لا تزن بهذه المرأة فتعقد عليها عقد إجارة وتقول إنما أستوفي منافعها وأمثال ذلك.قالوا: ولهذا الأصل.وهو تحريم الحيل المتضمنة إباحة ما حَرَّم الله أو إسقاط ما أوجبه الله عليه.أكثر من مائة دليل، وقد ثبت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- «لعن المحلل والمحلل له» مع أنه أتى بصورة عقد النكاح الصحيح، لما كان مقصوده التحليل، لا حقيقة النكاح.ويشهد له أيضاً قوله -صلى الله عليه وسلم- «ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها» وقوله أيضاً فيما رواه إبراهيم الحربي من حديث أبي ثعلبة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال «أول دينكم نبوة ورحمة، ثم خلافة ورحمة، ثم ملك ورحمة، ثم ملك وجبرية، ثم ملك عضوض يستحل فيه الحر والحرير» والحر.بكسر الحاء وتخفيف الراء.هو الفَرج.فهذا إخبار عن استحلال المحارم، ولكنه بتغيير أسمائها، وإظهارها في صور تجعل وسيلة إلى استباحتها، وهي الربا والخمر والزنا، فيسمى كل منها بغير اسمها، ويستباح الاسم الذي سمي به، وقد وقعت الثلاثة.وفي قول عائشة «بئسما شريت، وبئسما اشتريت» دليل على بطلان العقدين معاً وهذا هو الصحيح من المذهب، لأن الثاني عقد ربا والأول وسيلة إليه.وهذه الأحاديث وشروحاتها تدلل على أهمية استخدام المصطلح وعلى التحذير من خطورة استحلال الحرام بمجرد تغيير اسمه .

ما سبق من استدلالات في أمر المصطلح وأهميته إذا أضفنا عليه ما هو المعروف في العصر الحديث بمسمى القواميس المتخصصة ( glossary ) يؤكد على حيوية إستخدام المصطلح.

ولقد تم إغتيال الكثير من المصطلحات في عصرنا الحديث و هو أسوأ ما حدث في طفرتنا الثقافية، إذ تم وعن سبق إصرار وترصد قتل معاني بعض الألفاظ وطمس ألفاظ أخرى لإخفاء معانيها، ولنذكر بعض الأمثلة ،الفن ، الثقافة ، الفكر ، الإبداع ، التطرف ، الإرهاب ، الحرية ، الرأي ، الحوار ، الإستقرار، التنمية ، التسامح ، وغيرها كثير، ولكن دعونا نأخذ ما سبق من أمثله بشيء من التفصيل :

**١- الفـــن :**

عندما يقال فن في العصر الذي نعيشه، فما هو الواقع الذي يصفه هذا المصطلح؟! فالمتبادر للذهن المطربين ، المطربات، الفيديو كليب ، الموسيقى ، التمثيل السينمائي ، التمثيل المسرحي وغيرها من أمور الحشو الفكري والظهور الاجتماعي، ولكن هل هذا هو المعنى الذي يعنيه الفن في المصطلح الأصلي للكلمة؟! ففي معاجم اللغة ( القاموس المحيط مثلاً )ورد معنى كلمة الفن هو الحال والضرب من الشيء، ولذلك نجد في كتب اللغة وغيرها تسمية الأبواب على أنها فنون فيقولون فنون اللغة وفنون العلوم والأدب وغيرها ، والذي حدث في عصر الطفرة الثقافية هو تفريغ المصطلح من معناه الذي يعرفه الناس عنه بإعتباره عملاً إبداعياً على مستوى راقٍ للفكر الإنساني ثم ملئ بحشو ليس له صلة بالمصطلح أصلاً والسبب هو أننا لو أردنا إختيار مصطلح يصف حقيقة ما نسميه اليوم فناً لأطلقنا على الغناء الماجن المصاحب للموسيقى مصطلح ( الخنا ) ولو وصفنا واقع الفنانة التي تهز جسمها أمام الناس لأسميناها قينة ولو سمينا الفيديو كليب بمسماه الحقيقي لكان اسمه ابتذال و دعوة للفجور وكلها مسميات لا يقبلها الحس الإسلامي في البيئة العربية، لذلك أُطلق على هذه الأمور مسمى الفن ريثما يتقبل الناس المحتوى على أساس أنه فن وبعد فترة ينسى الفن الحقيقي وهو الإبداع الجماعي في كل عمل ،ويصبح مصطلح الفن هو ما يمت للغناء والرقص والتمثيل بصلة ، فكُتاب روايات الأفلام فنانون ، ومصممو الرقصات فنانون ومؤلفو الموسيقى الصاخبة الماجنة فنانون ،ألا يعتبر هذا اغتيالاً للمصطلح ، وأسميته اغتيالاً لأنه قتل للمعنى الحقيقي للكلمة عن سبق إصرار وترصد وبصورة خفية خادعة حتى لا يُعرف القاتل وحتى لا يمكن توجيه تهمة القتل العمد إليه .

**٢- الثقافة :**

وأصل مصطلح الثقافة في اللغة هو لمن صار حاذقاً خفيفاً فطناً، والفارس الثقيف هو الفارس الشجاع فالشخص المثقف إذاً هو الحاذق الفطن في علم من العلوم أو فن من الفنون ،وعندما ننظر إلى المقصود بالثقافة في طفرتنا الثقافية،نلاحظ أن المتبادر للذهن أن المثقف هو من قرأ أكبر قدر من الفكر الغربي المعاصر من الرواية والشعر والأدب واقتنع بها وصار يدعو إليها بل وربما انسلخ من أدبيات مجتمعه وثوابته واعتبرها رجعية لا تصلح للعصر الحديث ، المثقفون المعنيون بالمصطلح اليوم هم كتاب الصحف اليومية والمجلات الدورية

وكتاب الروايات وشعراء المديح وغير ذلك ، أما من حذق في الشعر العربي الرصين ومن فطن لأبعاد الأطروحات العالمية وفندها ونقدها متأسياً بثوابت مجتمعه وأصول شريعته الإسلامية فليس في عداد المثقفين ، لقد اغتالت طفرتنا الثقافية مصطلح الثقافة من مضمونه المحتوي على المهارة والفطنة ولتملئه بحشو التبعية لغير ثقافتنا كمسلمين ، ولأن المصطلح الحقيقي لتبعية غير المسلمين وتوجهاتهم الاجتماعية هو في حقيقته زندقة وهو أمر لا يقبله المسلمون في مجتمعهم سمي المديح لاطروحات الغرب وأدبياته ثقافة، وسُمي من صرفوا عمرهم وجهدهم لدراسته وتزيين تطبيقه في المجتمع المسلم مثقفون، ألا يعتبر حصر لفظة مثقفين في المستغربين اغتيالاً عن سبق إصرار وترصد للمعنى الأصلي للمصطلح الأصلي وهو ثقافة؟!، وعندما نضيف إلى ذلك واقع الصحافة والإعلام عموماً في عالمنا العربي ونعرف مدى أحاديته وخضوعه للعامل السياسي نعلم أن الكثير ممن يقال عنهم بأنهم مثقفون ما هم إلا أبواقاً في أكثر أحوالهم ، أما المثقفون الحقيقيون فقد صارت أسماؤهم أصوليين، رجعيين ، ظلاميين..... الخ .

### ٣- الفكر:

مصطلح من أكثر المصطلحات أهمية و يحمل معنى التدبر والتأمل في الحقائق لاستنتاج الفوائد والمواعظ ، أصبح معنى الفكر بعد أن تم اغتياله بلا هوادة في طفرتنا الثقافية ليكون مصطلحاً يدل على كل عمل يحمل معنى التجرؤ على ثوابت الشريعة أو موروثات الأمة ، فتحدي أحكام الشريعة عن طريق الإصرار على معرفة الحكمة من التحريم أحد مظاهره هذا التجرؤ ، ومهاجمة كل ما هو شرعي ثابت بالكتاب والسنة إذا لم يكن موافقاً للعصرنة الغربية من مظاهر هذا التجرؤ ، ومحاولة إخراج أحكام شرعية لا تستند على أصول الشريعة من أجل إثبات أن الشريعة لا تعارض السلوكيات الغربية المعاصرة يعتبر مظهراً آخر من مظاهر هذا التجرؤ ، نفى كل تهمة يتهمنا الغرب بها ولا تتفق مع أطروحاته الاجتماعية بحجة أن الدين الإسلامي دين عصري ومتطور هو أحد هذه المظاهر أيضاً ، ولأن التجرؤ على الدين أمر لا يقبله المجتمع المسلم بفطرته ولا يقبله الدين بنص القرآن « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» فإن طفرتنا الثقافية غيرت معنى مصطلح الاستهزاء بالدين ، ومعنى مصطلح النفاق وألبسته مصطلحاً يحترمه المجتمع المسلم وهو مصطلح الفكر، فالمسلم يعلم أن التفكير والتدبر ليس فقط أمراً مقبولاً شرعياً و مندوباً إليه، بل واجباً بنص القرآن ، وهكذا أُغتيل معنى الفكر عن سبق إصرار وترصد، ويحاول المستفيدون من هذه الطفرة الثقافية من بعض الكتاب في كل الصحف والغالبية الساحقة من وسائل الإعلام الأخرى وسُمي المفكرون الحقيقيون بالرجعية الأصولية ، مساندة الإرهاب ، محاولة إثارة الجماهير .. الخ وصدق فيهم « يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم » .

## ٤- الإبداع :

في أصل المصطلح الإبداع من بدع أي ابتدء وهو مصطلح محايد فكل من بدء شيء ما على نحو لم يسبقه إليه أحد فقد أبدع ، طفرتنا الثقافية إختارت أن تستخدم هذا المصطلح كمطية للشهرة السريعة ، وكلما بدء أي واحد أيَّ شيء فيه تحد لثوابت المجتمع صار مبدعاً وللتدليل على ذلك نلاحظ أن الإبداع ينطبق فقط على الأدباء والروائيين و الإعلاميين الذين يحاولون تقليد المدنية الغربية في إنتاجهم الأدبي والإعلامي، سواء كان ذلك في مجال القصة أو الرواية أو الشعر أو البرامج أو غير ذلك ، ولو أردنا أن نطبق المصطلح الذي يشرح معنى ما يفعلونه فهم في الواقع إمعات لم يُعملوا عقولهم في الإتيان بجديد بل دفعهم الكسل والخمول وحب الشهرة والتألق على أكتاف الغير لترجمة أعمال غيرهم أو تقليدها في أحسن الأحوال، أما المبدعون الحقيقيون فلم تطلق عليهم طفرتنا الثقافية اللفظ الذي ينطبق عليهم بل ربما وصمتهم بالجمود والإنغلاق والخوف من مواجهة الرأي الآخر. الإشكال الذي وقعت فيه هذه الطفرة الثقافية أنها وبسب كسل المستفيدين منها لم تستطيع أن تواكب المعنى حتى بعد تحريفه، مما جعلهم في وضع مقارنة واضح مع المبدعين الحقيقيين من مفكرين وعلماء وأدباء وهم يرتقون إلى الأعلى ويمتدون أفقياً بسبب تمسكهم بقوانين مجتمعاتهم وأخلاقيات أمتهم المسلمة ، والحق نجد أن الطفرة الثقافية تتراجع يومياً وبسرعة إلى الخلف في تخريب معنى هذا المصطلح بالذات ويحقق المبدعون الحقيقيون للمعنى الأصيل للإبداع إنتصارات متوالية أفقدت النفعيين صوابهم.

## ٥- التطرف ، الإرهاب ، الأصولية :

هذه المصطلحات وما شابهها تعبر الطفرة الثقافية بها عن الأفراد والإتجاهات والظواهر الاجتماعية التي اختارت تمسكها بثوابتها الثقافية المسلمة ، فعندما يتمسك الفرد بأصول الشريعة وثوابتها يصبح أصولياً ،والطفرة الثقافية خربت المعنى الذي يتضمنه هذا المصطلح فبدلاً من شرح معناه الحقيقي وهو ارجاع الفروع إلى أصولها حتى يكون هناك انسجام بين جميع الفروع وتماسك مع الأصول، جعلوا مصطلح الأصولية يعني الجمود ورفض التجديد والتغيير وهي بهذا ( أي الطفرة الثقافية) رمت الآخرين بدائها وانسلت ، وأصبح كل مسلم يتمسك بثوابته الثقافية وأصول شريعته أصولياً بمعنى جامد السلوك و أحادي التفكير،و إن زاد على ذلك التمسك وأصر عليه بالرغم محاولات الإضلال بل والإرغام على ترك أصوله الثقافية يصبح عندئذ متطرفاً، بمعنى إن الإنسان المسلم المتمسك بشريعته هو أصولي فإن استمر على هذا التمسك بشريعته على الرغم من المحاولات الجادة والدؤبة على إخراجه منها فإنه عندئذ يصبح متطرفاً ، أما عندما يرفض الظلم ويقول لا للإفساد في الأرض فإنه يصبح إرهابياً ، ومصطلح الإرهاب

دليل واقعي دامغ على تخبط هذه الطفرة الثقافية، إذ ليس في الإسلام مصطلح بمسمى( إرهابي) بل هو لفظ مترجم من لفظة غربية تشرح تماماً ما يحدث في ذلك المجتمع أحياناً وفي ظني أن مصطلح الإرهاب ما هو إلا مرحلة لتشويه معنى مصطلح الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وفي ظني والله أعلم أن مصطلح الإرهاب سيختفي تدريجياً وتستبدله الطفرة الثقافية بالجهاد والذي هو ذروة سنام الإسلام ، لماذا لايوصم أي عمل من أعمال الإفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل الذي تقوم به المدنيات الغربية واليهود بالإرهاب؟ على الرغم من إنها أعمال تشرح المعنى المقصود من المصطلح، في حين يصبح من يدعم الجمعيات الخيرية التي تطعم الجائع وتكسو العاري بأنها تدعم الإرهاب . عندماتجعل الطفرة الثقافية مصطلح الإرهاب وصفاً لدفاع المجمعات المسلمة عن ثقافتها و ترفض أن تسمي تعذيب البشر من المسلمين فقط و سرقة الثروات و إفساد البيئة بمصطلح الإفساد في الأرض وترفض أن تصف إجبار الشعوب على الرضوخ لأهواء المفسدين بالإرهاب و القائمين على الإفساد و الإرهاب بلإرهابيين ،فإن الطفرة الثقافية ترتكب جريمة في حق بني الإنسان .

**٦- الحرية ، الرأي ، الحوار :**

طفرتنا الثقافية حصرت معنى مصطلح الحرية وجعلته يدل على عدم الالتزام بقيود وضوابط مهما كان نوعها ،أي أن الحر هو الذي يفعل ما يشاء وما يريد ،فمثلا ، تخرج المرأة بدون حجاب ، يقيم الرجل والمرأة أي علاقات ، يكتب أي كاتب أي سخافات تغني أي قينة أي كلمات ، تمتلئ القنوات الفضائية بالراقصين والراقصات ، ولأن كل ما سبق وغير ذلك وما شابهه هو في حقيقته شرح لمعني مصطلح اسمه إباحية في لغتنا ، ولأن الإباحية مرفوضة في مجتمعنا ، فإن كل ما تعنيه الإباحية تم حشوه في مصطلح الحرية وكأن الشريعة والأخلاق قيود للإنسان. و الغريب أن من يتحدثون ويتشدقون بالحرية على صفحات الجرائد والمجلات وغيرها من وسائل الإعلام، يرفضون مجرد السماح لغيرهم بممارسة حقهم في إبداء رأيهم بحرية فقط؛ لأن أطروحاتهم لا تتفق مع الإباحيين أو المفسدين في الأرض وحجتهم تضييق الخناق على الإرهاب و الرجعية من نشر أفكارهم، وكأن المتلقين من المجتمع أغبياء وهم فقط أوصياء على فكر المجتمع. ماهو الضرر الذي سيقع على من يَدّعون الحرية عندما ندع من تريد أن تتحجب أن تغطي مفاتنها دون الإستهزاء ودون الهمز واللمز لماذا يكون التفسخ فقط هو الحرية ؟ ولماذا تشرع الأبواب أمام الإباحيين وتوصد أمام الرافضين للإباحية؟ لماذا لا نترك للمجتمع حرية الإختيار؟ لماذا نسخر طاقات المجتمع لنرغمه على تنكب الصراط المستقيم ولنجبره على السير في إتجاه إجباري بحيث لا يجد أمامه إلا طريق التغريب فقط ؟!

أما الرأي فقد أصبح مصطلحاً يعني تبرير السماح لمن يريد أن يهاجم وينتقص من ثقافة الأمة

المسلمة ، والرأي في أصله استنتاج مبني على دراسات ونظر في العلوم ولأن الضوابط الشرعية لا تجيز أن يتكلم كل من شاء بما شاء وقتما شاء وكيفما اتفق أمام الجموع من العامة، فإن الطفرة الثقافية عندما أرادت أن تخرج أضغان نفسها وتبث سمومها وأحقادها الدفينة، اعتبرت استهزاءها بالدين وانتقاصها لأحكامه والمطالبة بإقصائه عن حياة الناس رأيا، ولو فطن لهذه المكيدة أحد وجاهر بما فطن به قالوا كلام جرائد أو (لاتحبكوها) أو أن يقول أمثلهم طريقة كنا نبدي رأيا وما قصدنا إلاخيراً وهو أمر ليس بعيدا عن موقف من قال (ليخرجن الأعز منها الأذل) حيث اعتبر أن ماقيل ليس أكثر من مجرد رأي أو مجرد كلاماً للخوض و اللعب وليس المتبادر للذهن مقصودا منه ؛ فيجب أن نقول لهم دونكم أي شيء للخوض و اللعب أما دين الله و سنة رسوله فليس للخوض و اللعب فيهما ، ويجب على العاقل أن يزن الأمور عندما تصل السخافات (الجادة) لثوابت الأمة الثقافية.

ولأن الطفرة الثقافية تعلم أن المصطلح الذي يشرح ما تقوم به من غمز ولمز وإستهزاء بالدين وأهله إنما هو نفاق وأن المجتمع لا يقبل هذا المصطلح أو معناه فإن معنى النفاق وضع تحت مصطلح الرأي، أما الرأي كمصطلح أصيل صار يدلل على التحريض و التمرد و العصيان..الخ ، وعندما تقول الطفرة الثقافية رأياً حراً فإنها تضم في الحقيقة معنى الإنحلال والنفاق مع بعضهما البعض وإلا لماذا لا نسمع شجاعة الرأي الحرمن أساطين هذه الطفرة في غير الدين وأهله وفي غير المتمسكين بالشريعة والمطبقين لها .

لم تعرف البشرية الحرية واحترام الرأي إلا في ظل الأديان السماوية ، بل إن الرسل عليهم السلام جميعاً وبالأخص خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ما وجد مقاومة إلا من أعداء الحرية والرافضين للرأي الحر بحجة التقاليد و الأعراف والتقدم و التمدن ، ما أشبه طفرتنا الثقافية اليوم وهي تتعقب المصلحين والدعاة والناصحين بالتشويش والتحذير مستخدمة في ذلك قوتها الاقتصادية ونفوذها (بأبي لهب) عندما كان يمشي خلف الرسول -صلى الله عليه وسلم- ليفوت عليه دعوته ويحذر الناس منه مستخدماً في ذلك ماله ونفوذ بل وقرابته اللصيقة من الرسول -صلى الله عليه وسلم- ،لماذا لاتسمح الطفرة الثقافية للآخرين بأن يقولوا رأيهم الحر؟ لماذا يطبقون مبدأ إن لم تكن معي فأنت ضدي؟ أو إن لم تكن غربياً فأنت رجعي! وإن لم تكن مستسلماً فأنت إرهابي ! وإن لم تكن محتلاً فأنت أصولي وإن لم تكن منحلاً فأنت متطرف !.

أما مصطلح الحوار والذي يعني تبادل الرأي ( بمعناه الأصلي الحقيقي ) للوصول إلى نتيجة تخدم الأمة والمجتمع فقد أصبح لفظاً يعني إعطاء أكبر فرصة ممكنة لدعاة التغريب والأفكار الغربية لاقناع المجتمع المسلم باطروحاتهم وفي نفس الوقت تضييع أكبر وقت ممكن على المصلحين ، ولأن هذا السلوك الشائن ( أي الكلام فيما لا داعي منه ) هو في الحقيقة معناً يشرحه مصطلح الجدل ولأن المجتمع المسلم

يعلـم أن الجـدال لا طائل منه ولا فائدة إذ هو كلام من أجل الكلام فإن الطفرة الثقافية وضعت مصطلح الحـوار علـى الجدل الذي تقـوم به ، الحوار يتطلـب عقلاً ناضجاً يتأمـل في الوقائع ويرجـع إلى الأصول لنخـرج بآراء ذات مرجعية موحـدة ومتفق عليها ، عملية تبادل الاستنتاجات العقلية من المرجعية الموحدة وتبـادل المفاهيم هي الحوار ونتائجه معروفة وفوائده جمة لا جدال فيها ، طفرتنا الثقافية استغلت فرصة إغتيـال مصطلـح الحوار لتحجيم واقـع الإطروحات التي يريدهـا المجتمع المسلم ولإضفـاء شرعية على أطروحـات منهزمـة ومبتذلة وإباحية في نفـس الوقت ، فقد رأينا في طفرتنا الحضاريـة رجلاً أو اثنين أو رهطاً ممن يسمون بالمبدعين وأصحاب الرأي الحر تسميهم الطفرة بأنهم إتجاه اجتماعي ونجد أن الواقع يدلـل بوضـوح كشمس رابعة النهـار أن هؤلاء يتناقشون مـع بعضهم البعض دون أدنـى اكتراث اجتماعي لخزعبلاتهـم وهرطقاتهم و لـو دعي لإطروحاتهم دعوة عامة لم يجتمع لها أحـد غيرهم شريطة أن يتبع لقاءهـم عشـاء فاخر في مكان فخم ولكن الإعلام يبرز كل سكناتهم و حركاتهم وكأن ما يقولونه في الواقع هـو شغـل المجتمع الشاغل ، في حين نجد تحجيماً لمن لآرائهم الحـرة صداً في المجتمع وفي المنطقة العربية كلها وبل في العالم ولو دعي لاطروحاتهم دعوة عامة لأجابهم مئات الألوف لو كانوا في أقاصي الصحراء، اغتالت طفرتنا الحضارية (وعن سبق إصرار وترصد) معنى الحوار وجعلته جدلاً عقيماً وهي فعلت ذلك لأنها تعلم أن الجدل لن يؤدي إلى نفع وهي بذلك ستجعل المجتمع ييأس من الحوار ويرفض حتى مصطلح حـوار وتقبل الأمة وتستسلم بواقعها المهزوم وهي في نفس الوقت (أي الطفرة الثقافية) تحول الأنظار عن أمـور يجب أن يبدى فيها رأي حر من أصحـاب أطروحات علمية منطقية تستدل على أطروحاتها بثوابتنا الثقافيـة كمسلمـين وتهدف إلى إحداث تغيير إيجابـي يصب في مصلحة مجتمعنا المسلـم، لو أن الطفرة الثقافيـة أرادت استخـدام مصطلـح مناسب من اللغة العربية يـدل على معنى ما تقوم بـه في الواقع من محاولـة إخفاء القبول الضمني لإطروحـات لا تخدم ثقافة ومصالح الأمة ثم فرضهـا بقوة الواقع أحياناً والسلطـة أحياناً أخرى ومن تحويل التفكير العام للمجتمع من محاولة إيجاد حلول لمشاكل ووضع إبداعات لمستقبل أفضل، لوجدت الطفرة الثقافية نفسها مضطرة لاستخدام كلمة تضليل كمصطلح يدل على حقيقة الفعـل لأنـه يصف ما تقوم به تمامـا ، ولأن (تضليل) مصطلح لا يمكن القبول بـه فقد تم استخدام لفظ حـوار كمصطلـح يغطي ما يحدث ، وبطبيعة الحال عندما يكتب بعض العقلاء خارج مباني الحوار (لأنهم ليسوا من النخب المعينة للحوار) رأيهم الحر ويفندون من وجهة نظرهم خفايا ما يحدث يصبحون أعداء للحوار وانعزاليين ولا يشاركون مجتمعهم وأمتهم الهموم و الآمال وهم بذلك ( في نظر الطفرة الثقافية ) مضللون لأنهم يرفضون الدخول في حوار ويحاولون تشويه سمعة المتحاورين .

### ٨- الاستقرار:

مصطلح آخر اغتالته طفرتنا الثقافية ومن عدم الحكمة التحدث عن هذا المصطلح في هذه الحقبة الزمنية بل وربما في المستقبل المنظور ولكن أكتفي بالقول إن هذا المصطلح أصبح يدل على معنى مصطلح الجمود، والطفرة الثقافية تريد للجمود أن يكون هو الاستقرار، وهناك فرق بين الاستقرار والجمود ،فالجبال تحسبها جامدة وهي تمر مَرَّ السحاب والكون كله مستقر وليس جامداً؛ الاستقرار حركة قد تكون غير ملاحظة أو تحتاج لطرق محددة لسبر أغوارها وهي ذات إتجاه وليست تخبطاً عشوائياً الاستقرار حركة مطمئنة ذات إتجاه وهدف، و يصعب عليّ أن أجد في الكون شيئاً خلقه الله (الذي لم يخلق شيئا عبثا سبحانه) ليس مستقراً إذ كلٌ ميسرٌ لما خُلق له والشمس و القمر بحسبان وهما يسيران لمستقر لهما و النجم و الشجر يسجدان والسماوات و الأرض ومن فيهن يسبحون إلا بعض بني آدم وهؤلاء أيضا في مجموعة مستقرة هي البشر يحيون و يموتون وسيبعثون و سيحاسبون ! الورقة تسقط من الشجرة بقدر معلوم عند من خلقها وغير ذلك كثير كل شيء متحرك وهو أيضا مستقر، مثل واحد يمكنني أن أعتبره جامداً إنها الطريقة التي فكر ويفكر و سيفكر بها من كذبوا الرسل وماجاءوا به و جحدوا نعمة الله وبدلوها كفرا وأحلوا قومهم دار البوار، هم جامدون على شيء واحد هو منهج إتباع الهوى، بالرغم من كل الدلائل و النصائح و العبر التي تدل على خطأ هذا المنهج ولذلك نجدهم يتكلمون بنفس المنطق منذ أن قتل قابيل الجامد هابيل المستقر .

### ٩- التنمية :

مصطلح حديث نسبياً ومعناه الإرتقاء بالإنسان في جميع مناحي حياته ، طفرتنا الثقافية حصرت مفهوم التنمية في التمدد العمراني والحضري حتى لو كان على حساب الإنسان نفسه ، ولو رأينا ماذا يحدث من ردم لتاريخنا الحضاري ومن تهميش لموروثاتنا المدنية والحضارية ومن عدم اكتراث الطفرة لنمط حياتنا ولخصوصياتنا كمجتمع إنساني لوجدنا أن لفظ تنمية لا ينطبق حقاً على ما تقوم به الطفرة الثقافية على أرض الواقع بل نحن في الحقيقة نقوم بتوظيف حاجات المجتمع لخدمة منافع إقتصادية بحتة لفئة محدودة، وهذا ما يجب ان نسميه ابتزاز والمجتمع لن يقبل اصطلاح ابتزاز ولكنه سوف يوافق دون شرط أو قيد على تنميته.

### ١٠- الواقعية :

مصطلح هو أيضاً تم تحويره ، فالواقعية في أصلها تعني الاعتراف بالحقائق وعدم رفضها أو بمعنى رفض مبدا جحود اليقين ، أما في الطفرة فإن الواقعية معناها القبول بما يحدث والرضى به ،والقبول

بالأمـر الحـادث دون محاولـة تغيير له معنـى ومصطلح آخر هـو استسلام ، ولكن الطفـرة احتالت على المجتمـع المسلـم لكي لا تصف قبولهـا بالهيمنة الثقافية علـى مجتمعنا بالاستسلام ولكـي تتفادى رفض المجتمع لإمعّية الغرب، ولأنها تدرك أن المجتمع لن يقبل الطرح الواقعي من وجهة نظر الطفرة بل سيقاوم الثقافـة الواردة إليه بغرض وبهدف تغيير ثقافته ، فأطلقت شعاراً ( كـن واقعياً ) وفلسفة(نحن لن نغير الكـون، دعونا نطـوع أنفسنا ) و(هكذا هي الحياة ، ماذا عسانا أن نفعل أمـام الأقوياء ، دعونا نتأقلم مع الأوضاع العالمية الجديدة) باختصار دعونا نكون مخلوقات بلا هوية و قد حرمت المجتمع حتى من أن يكون حربـاء! فالحربـاء يتغير لونها لتخدم نفسها، وتريد الطفرة الثقافية لنـا أن نغير ألواننا وجلودنا وثقافتنا ليـس لمصلحتنا ولا لمصلحة غيرنا بل لهوى غيرنا. وهناك الكثير من الأمثلة الأخرى لا داعي للخوض فيها فالمصطلحات التي بقيت كما هي في طفرتنا الثقافية قليلةً.

# الفصل الثاني
# بناء التصور

# بناء التصور

تحدثت بشيء من الإسهاب عن المصطلح وعن اغتياله عمداً ، وعرّفت المصطلح أنه لفظة تدل على معنى متفق عليه ، واخترت كلمة اغتيال لأنها تعني تعمد القتل غيلة أي دون مواجهة للمقتول ، وذكرت أنني أطلقت كلمة طفرة على ما يحدث في بيئتنا الثقافية لأنها تشبه إلى حد كبير ما حدث في وقت الطفرة المالية التي مرَّت ببلادنا قبل حوالي ثلاثين عاماً ، فقد رأينا أناساً صعدوا من لاشيء مادياً إلى مصاف المليونيرات،فقد حصدوا الملايين من بيع أراض أو ما شابه ذلك، وقام كثير منهم بتبذير هذه الأموال بمنة ويسرة ولم يستثمروها بصورة تنفع الوطن والمجتمع ، وما يحدث اليوم في بيئتنا الثقافية هو نفس ما حدث في وقت الطفرة المالية، فكل من كتب أي شيء صار مثقفاً ، وكل من أصبح مثقفاً صار مَنظّراً وكل منظر وضع نفسه قائداً يعرف طرق التقدم والنمو للأمة ، وهانحن الآن نجد عدد المثقفين يزداد بسبب النفخ الإعلامي لهم ، تماماً كما وجدنا عدد أصحاب الملايين ازدادوا بسبب شراء الأراضي منهم .ويهمني الآن أن ابني تصوراً لما قد يحدث كنتيجة لهذه الطفرة الثقافية بمعنى إنني أُريد أن أتتبع نظرياً النتائج المتوقعة إن استمرت الطفرة الثقافية في خط مستقيم ودون عوائق. فمن وجهة نظري الخاصة أجزم أن السبب في الطفرة الثقافية هوزيادة وعي المجتمع بنفسه،و إكتشاف أنه مجتمع متخلف تقنياً و مدنياً وإدارياً عن كثير من المجتمعات المتقدمة المعاصرة،وهذا الوعي والاكتشاف أمر بحد ذاته إيجابي ودليل خير ومن مبشرات النهضة التي نرجوها لبلادنا.

ولو لاحظنا توقيتاً لبدايات هذه الطفرة لوجدناها تزامنت مع عوامل يمكن تحديدها فيما يلي :-

١- دخول الفضائيات وما تنقله من ثقافات متعددة .

٢- الشبكة العنكبوتية وانتشارها في المملكة .

٣- البلطجة الأمريكية التي حدثت بعد الحادي عشر من سبتمبر .

٤- تخلف إداري وتنظيمي في مختلف قطاعات الخدمة الوطنية .

٥ - وضوح النفوذ القوي لأصحاب رؤوس الأموال .

ولنلقي الضوء باختصارٍ على كل عامل من العوامل السابقة وكيف ساهم في ظهور الطفرة الثقافية .

**١. دخول الفضائيات :**

اكتشف كثير من أفراد المجتمع أن هناك مجتمعات كان يظنها الأفراد متخلفة، فإذا هي في الواقع متقدمة أكثر من مجتمعنا في بعض النواحي، وبصورة عامة في نواحٍ أخرى ، وقد اكتشف الفرد أن عنده

عاملة منزلية من إندونيسيا أو الفلبين أو الهند أو عنده سائق من اليمن أو باكستان أو ... الخ ولكنه عرف أيضاً أن هؤلاء الأفراد حضروا من مجتمعات لها ثقافة، وإنهم وإن كانوا أفراداً فقراء إذا ماقورنوا بالفرد السعودي الذي يعملون عنده إلا أن مجتمعاتهم بصفة عامة مُتمدِنَة بل ربما أكثر من مجتمعه هو في نواح متعددة ، فالهند وباكستان مثلاً عندهما علم الذرة ،وفي إندونيسيا والفلبين الشوارع والمباني والبنية التحتية أفضل مما عندنا نحن إذا أخذنا عدد السكان والموارد المالية في الاعتبار .بمعنى أكثر بساطة إن شوارعنا ومبانينا وطائراتنا وغير ذلك من مظاهر المدنية الحديثة يوجد مثلها بل وأفضل منها في البلاد التي قَدِمَ إلينا منها الخدم والسائقون ، وإننا لسنا كما كنا نظن أو كما خُيل إلينا أننا الأفضل، إلا أن الأثر الأكبر للفضائيات كان فيما نقلته بالصوت والصورة من برامج ثقافية وأخبار ، وجدنا أن الناس في تلك البلاد يتكلمون في أمور عندنا من الممنوعات ، وجد أستاذ الجامعة مثلاً أن سائقه يستطيع أن يتكلم في مواضيع ويبدي رأياً في قضايا لايستطيع هو أن يتفوه بها في جامعته ، وقس على ذلك الكثير، المحصلة أن الفضائيات جعلتنا نؤكد لأنفسنا أننا من الناحية المدنية لسنا أفضل مما كنا نعتقد أننا الأفضل منهم وربما اكتشفنا أيضاً أنه لا يوجد أسوأ منا بكثير إن أخذنا حرية التعبير عن الرأي كمقياس ، عرفَّتنا الفضائيات أن الأخبار يمكن أن تكون أكثر من استقبل وودع وأرسل خطاباً واستلم برقية وإن ما يحدث في الدنيا أكثر من ذلك بكثير ، عرفتنا الفضائيات أنه يمكن تحدي العادات والتقاليد السائدة ، وعرَّفتنا الفضائيات أنه ما لم تحجز لنفسك موقعاً على خارطة العالم، فلن يتبرع أحد ما ليعطيك شيئاً من وقته .

**٢- الشبكة العنكبوتية ( الانترنت) :**

فجأة وبصورة ربما لم تكن متوقعة وعلى الرغم من غلاء أسعارها ورداءة خدمتها فقد استوعب المجتمع الشبكة العنكبوتية ، وكما الجائع عندما يرى الطعام والعطشان عندما يرى نبع الماء و أحياناً كالمحصور بالبول أو البراز عندما تتاح له فرصة إخراج فضلاته، اندفع المجتمع نحو الشبكة العنكبوتية فالجائع للمعلومات وجد عنده مكتبات زاخرة والعطشان للحقائق وجدها ظاهرة جلية ومن كان عنده حصر لأي شيء لا يستطيع أن يقوله أصبح قادراً على التنفيس عن نفسه ، المهم أن المجتمع المغلق المكبوت وجد آلية للتواصل مع المجتمعات الأخرى ووجد طريقة للتعبير عن رأيه بل وجد عن طريق أندية المحادثة من يتكلم معه دون أن يخشى منه ؟!.

وكما فعلت القنوات فعلت الانترنت أكدت لنا ما يكتشفه الإنسان عن نفسه عندما يقف أمام المرآة، إلا أن في الشبكة العنكبوتية أو الانترنت ميزة ليست موجودة في الفضائيات ألا وهي ميزة المقارنة والإختيار فللمرة الأولى في تاريخنا المعاصر استطاع الفرد في مجتمعنا أن يكون مستقلاً في طرح آرائه وأطروحاته، فتجد مواقع في الشبكة العنكبوتية تؤكد وتثبت أصالة الإسلام وتشريعاته في مجتمعنا ،ومواقع تريد أن

تحاكي أقذر ما في الغرب، تستطيع من خلال الشبكة العنكبوتية أن تختار وتقارن بين ثقافات متعددة في نفس الوقت وهو أمر ليس متاحاً بنفس القدر في القنوات الفضائية .

نعم هناك قنوات فضائية تنطلق من ثوابت شرعية إسلامية وتؤكد على أصالة مجتمعنا كمجتمع مسلم إلا أن مواقع الإنترنيت التي تخدم نفس الهدف أكثر بكثير ، لقد ساهمت الشبكة العنكبوتية في فك لجام الأفواه وأطلقت للأقلام العنان وأصبح أفراد المجتمع أمام أوضاع تجبرهم على التفكير ، لم يعودوا ملزمين بأخذ نتائج جاهزة من الصحافة المحلية ، ولم يعودوا مضطرين لمعرفة ما يحدث حولهم أن يلجأوا للإعلام المحلي، بل وجدوا أمامهم منابع للأخبار غير اجبارهم على الأخبار الحصرية مسبقة الإعداد ، وبسبب ما وتدريجياً انتهت عبارة ( صرح مصدر مسؤول ) وبدأ الإعلام المرئي و المسموع يخرج من الرتابة ولكن فيما يبدو أنه اقتنع أن عليه أن يخرج من الرتابة ولكنه لم يقرر بعد إلى أين سيذهب ونرجو أن تكون وجهته إلى ثوابتنا الثقافية أما الصحافة فيبدو إنها راكبة رأسها كما يقولون .

### ٣-البلطجة الأمريكية :

لا أدرى هل هو سوء حظ أم حسن طالع أن تحدث أحداث ١١ سبتمبر بعد دخول الفضائيات والإنترنيت ، فعقلية المجتمع قبل الفضائيات والإنترنيت كانت أكثر ملائمة لخدمة ما تريده الحكومة الأمريكية ، وما تريده الحكومة الأمريكية هو ما قاله رئيسها ( إما معنا أو ضدنا ) وهو مبدأ من الصعب قبوله على من شاهد القنوات أو الشبكة العنكبوتية ، لم يكن يتصور الأفراد في مجتمعنا أن القسوة والهمجية والرعونة يمكن أن تصدر من أمريكا كما حدث في أفغانستان والعراق ولم يكن يتصور أن الصلف والغرور يمكن أن يصلا إلى درجة أن تطالب الحكومة الأمريكية دولة أخرى بتغيير مناهجها التعليمية بصورة عاجلة ودون أي تأخير ، ولم يصدق المجتمع نفسه إلاّ عندما رأى بأم عينيه الإعلام الأمريكي وهو يكذب ويلفق ويختلق الأحداث ليرسم صورة نمطية في العقول عما يريده أن يحدث ، لم يتصور عقل المجتمع في بلادنا أن رمز الفكر الحُر ومركز تحقيق الأحلام سيحجر على كل رأي غير رأيه لا بل ويقتل كل من لا يقل له نعم ، لم يدر بخلد المجتمع الذي شاهد تمدن أمريكا على القنوات وفي الأفلام إنها تبطش وتظلم وتعذب بسادية بربرية، وتنتهك كُلَّ الحرمات في سبيل تحقيق أهواء رؤسائها ، كان المجتمع يحترم أمريكا ويحاول محاكاتها فإذ به يخاف منها ويحاول تحديها، الحادي عشر من سبتمبر أحدث ترسيخاً لمبدأ كاد أن يمحى وهو (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ) ولكن كيف أحدث ماسبق ذكره أحدث أثراً على الطفرة الثقافية التي أتحدث عنها، أثره على الطفرة الثقافية هو أن البلطجة الأمريكية أوصت إلى أحبائها أنه قد جاء وقت خروجكم إلى الواجهة ونحن سنحميكم ولن يجرؤ أحد على المساس بكم فمجرد أن يتهمكم أحد أنكم أي شيء غير الذي ترضونه فإننا سنهدد معارضيكم بأنهم إرهابيون

وأعداء للرأي الحر .. الخ، وهكذا خرج هؤلاء إلى السطح وبدأوا يفرزون خلجات نفوسهم المريضة ونتائج عقولهم الضحلة على صفحات الصحف، وفي برامج الفضائيات وغيرها مستخدمين المصطلحات التي تم إغتيالها وهكذا تحولوا من تافهين إلى مثقفين ومن جبناء لا يستطيعون الإدلاء بآرائهم في أثناء الاستقرار الاجتماعي إلى إصرار على البوح بأطروحاتهم وآرائهم المتطرفة تحت حماية جمود فكر البلطجة الأمريكية ، ألا يحق للمجتمع المسلم أن يقارن بين أثر ١١ سبتمبر على إخراج سخم بعض القلوب بما حدث في غزوة تبوك عندما أخرجت أحداثها سخم قلوب من قالوا (سمن كلبك يأكلك) و ليخرجن الأعز منها الأذل؟! لماذا لم يجرؤ واحد من هؤلاء على الحديث قبل ١١ سبتمبر ؟ بل لماذا لم يجرؤ على الحديث إلا بعد أن استخدمت البلطجة الأمريكية ترسانتها العسكرية؟! لقد تأكد لدى هؤلاء أن أمريكاستحميهم وستدافع عنهم وستقدم لهم الدعم اللازم ليظهروا كأبطال يدافعون عن الحقوق الشرعية والفكرية لبلادهم، وهذا الإحساس بالأمان لدى الراغبين في الوصول إلى الشهرة، أو ما يظنونه مجداً بل وربما لدى الراغبين في الوصول إلى مراكز قوى جعلهم يستغلون فرصة الحماية الأمريكية لكل ما هو معاد لتوجيهاتها البلطجية، وهي فرصة اجتمعت فيها مصالح أمريكا مع تطلعات من اختاروا لأنفسهم اسم الليبراليين فإذا بنا نرى ونشاهد ونسمع المعارضة الواضحة الصريحة لكل شيء يعارض البلطجة الأمريكية ، حتى وإن كان هذه المُعارضة لآيات قرآنية ، أو أحاديث صحيحة من السنة ، أو أحكام شرعية مثبتة بالدليل ، كل من لديه سخم في نفسه (حليق الوجه أو كث شعر الخدين) أخرجه وكل من لديه أطماع طالب بها وكل من عنده ثأر طالب به فبدت كل هذه الأمور وكأنها ثقافة وحوار وتبادل للرأي وهي في الحقيقة دعوة لتبني النموذج الأمريكي الثقافي وتكميم لأي حوار منطقي وحجر على أي رأي آخر .وكما وقف الشجعان في تبوك مع الدين الحق و الثقافة الحرة مطالبين بقطع رؤوس النفاق بأيديهم مقدمين المنهج على الأفراد، ظهر في مجتمعنا من يرفض دعاوي الليبراليين أقاربهم وبني جلدتهم وكما انتصرت الحكمة النبوية بتجاهل أحقاد النفاق كي لا يعطوا أكثر من حجمهم وكي لا يتسببون في أذى أكبر من قيمتهم فإن المجتمع المسلم تجاهل هرطقات الليبراليين ولم يعطها حتى مجرد الرد عليها فإذا بهم يردون على بعضهم ويأكلون فتتهم كما يقول المثل.

**٤- التخلف الإداري :**

الفضائيات ، الشبكة العنكبوتية ، البلطجة الأمريكية عملت منفردة أو مجتمعة كأداة مقارنة جبرية، وفرضت سؤالاً مهماً لماذا لا يوجد لدينا نفس التنظيم الذي نشاهده في الفضائيات؟ ولماذا لا ندافع عن مصالحنا ومواطنينا كما تدافع أمريكا عن مصالحها ومواطنيها ؟! لماذا يحق لمن يدفع أن يقول أين

حقوقي ولا يملك من يدفع عندنا إلا أن يشكر كرم من أخذ منه ولم يعطيه الخدمة ؟! لماذا يريد كل من يدفع للكهرباء في الغرب و الشرق خدمة مقابل ما دفع وكل ما يرجوه من يدفع عندنا للكهرباء أن يستمر التيار عنده بدون انقطاع ! لماذا تتقاضى شركة الاتصالات المحتكرة للسوق أكثر من غيرها ومثيلاتها وتقدم أسوأ منهم ؟! لماذا يطالب الآخرون بحقوقهم في الرعاية الصحية ونحن نستجدي المحسنين ليتبرعوا؟! لماذا خدماتنا الصحية ليست كما يجب بالنسبة لدخلنا الوطني و عدد السكان؟لماذا نمتلك أهم سلعة في العالم ومواطنونا ليسوا أكثر الناس رفاهية اجتماعية؟ لماذا مدارس دول أفقر منا أحسن منا تجهيزاً؟ لماذا أغنى الأغنياء من مجتمعنا ولا نرى أثر لغناهم في المجتمع؟ ولماذا ولماذا...الخ.... بإختصار لماذا الفوضى الإدارية والتعسف السلوطي لأصحاب المراكز على الرغم أن المواطن دفع (دون استطاعة أحياناً كثيرة) مقابل الخدمات التي يريدها؟! هذه الأسئلة وغيرها جعلته يرفع صوته بالسؤال ولكنه لم يستطيع أن يرفع صوته بالجواب على التساؤلات التي أثارت نفسها،ولأن نقد التخلف الإداري يحمل شبهة المعارضة فقد وجد المستفيدون من البلطجة الأمريكية الفرصة سانحة وذهبية فتبرعوا بشرح أسباب هذا التخلف وليلقوا بالملامة على المنهج الشرعي و التربية المسلمة المحافظة، فالقضاء الشرعي في وجهة نظرهم هو سبب فوضى المحاكم ، وكسل بعض القضاة ، وعدم نزاهة بعض كُتاب العدل .. الخ، وتدريس الفقه والتوحيد والتفسير هو سبب في هذا التخلف ويجب القضاء على المسببات ... الخ و عدم قيادة المرأة للسيارة أو وقوفها كبائعة في الحوانيت دليل على عدم مشاركة المرأة في الحياة العامة وهذا من أبرز أسباب التخلف بزعمهم وبالطبع يقولون ما سبق وما شابهه وهم يعلمون أنهم تحت غطاء قصف التهديدات البلطجية بوصف غيرهم بالإرهاب .

**٥-وضوح النفوذ القوي لأصحاب رؤوس الأموال :**

من جمعوا أموالهم من بيع الأراضي التي أخذوها بدون مقابل وباعوها بثمن باهظ، ومَن أخذوا مناقصات خدمات عامة ولم ينفذوها أو نفذوها بغش لم يسبق له مثيل، أوالذين استطاعوا أن يصلوا إلى طرق تخصهم للغرف من أموال الطفرة المالية ، أصبحوا أصحاب رؤوس أموال ، ولأننا نعاني من أزمات مالية ( هكذا يقال للمجتمع ) فإن أموالهم لها قيمة ، ولأنهم يعرفون كيف يجمعون المال ولا يعرفون كيف يؤثرون في الفكر الاجتماعي؟ اختاروا أن يفرضوا آراءهم الضحلة مستخدمين قوة سيولتهم المادية ولعل ما حدث في نادي جدة الاقتصادي الأول دليل على ذلك ، أراد أصحاب رؤوس الأموال أن يستخدموا قوتهم الاقتصادية في إحداث تغيير فكري ، أرادوا أن يجعلوا الفكر تابعاً للمال وحاولوا إيجاد موطئ قدم للفكر المادي وللتفسير المادي للتاريخ في بلاد لم يكن المال فيها إلاّ خادماً للفكر ووسيلة لغايات سامية ،بعض أصحاب رؤوس الأموال أصبحوا مركزاً للإهتمام فصاروا رعاة للفن والأدب والسفر .. الخ وهؤلاء هم أكبر الداعمين للطفرة الثقافية في نظري بعد البلطجة الأمريكية .

**والآن كيف يمكن من خلال هذه العوامل الخمسة المصاحبة للطفرة الثقافية بناء تصور عن ماهيتها وحاضرها ومستقبلها؟!.**

في تصوري الخاص إن الطفرة كغيرها من الطفرات عبارة عن أحداث متلاطمة وليست مراحل تم التخطيط لها ، وعلى هذا الأساس فإنها ستتمخض عن أحداث ووقائع، بعضها يصب في مصلحة الأمة والمجتمع وبعضها سيكون له آثاره الضارة بل وربما المدمرة ، أهم إيجابية لهذه الطفرة وربما الوحيدة هي (وضوح الحقائق الكبيرة) وهذه الحقائق الكبيرة هي :

١- الحقد الدفين في دائرة صنع القرار الغربي على الإسلام كثقافة .

٢- المال لا يصنع المعجزات وإن كان يحاول دائماً صنعها .

٣- الترف المادي ليس هو الذي يصنع الإحترام للشعوب .

٤- تجويع البطون أقل خطورة من الاستخفاف بالعقول .

٥- من يزرع الشوك لا يجني العسل ، ونحن عندما تركنا الكليات الإنسانية والإدارية لرجيع الثانويات العامة( في عموم القضية ليست في كل أفرادها ) حصدنا قيادات إدارية قدراتها الإبداعية قليلة وتركناها تتحكم فيمن يفوقوهم في الإدراك والتصور والتفكير .

٦ - إن النخلة ومن يزرعها أهم من البترول ومن يشتريه .

٧ - إن الأنعام ومن يرعاها أهم من الطائرات ومن يبيعها .

- أما أكبر سلبية لهذه الطفرة فهي استمرار قلة الحياء ويتجلى استمرار قلة الحياء فيما يلي :

١- الإستخفاف بعقول العقلاء .

٢- إصرار بعض أصحاب رؤوس الأموال على فرض أهوائهم الشخصية كأطروحات فكرية.

٣- استمرار الكذب المتعمد في وسائل الإعلام .

٤- مقايضة المصالح على حساب مكتسبات الأمة الثقافية وثوابتها.

في تصوري أيضا أن طفرتنا الثقافية ستعطي الشهرة لطلابها والمناصب لراغبيها، ولكنها ستفشل في إقناع العقول بجدواها وإن كانت سترغم الجميع على القبول ببعض إفرازاتها؛ تماما كما وجدنا أنفسنا مجبرين على التعامل مع بعض الاختلاسات التي حدثت إبان الطفرة المالية ونتائجها من غياب البنى التحتية في المدن جميلة المظهر فارغة المخبر ، سنجد أنفسنا مضطرين للتعامل مع أشخاص من الجنسين على أساس أنهم مثقفون ومنظرون وهم في الواقع جهلة ذوو أطماع شخصية .وكما وجد المجتمع منافع من بعض الخيرين الذين كونوا ثروات بسيطة أو متوسطة أثناء التقاطهم

لفتات الطفرة المالية، فإننا سنشهد أطروحات ثقافية جادة وواعية تتعدى النهوض بمستوى البلد الواحد إلى حد النهوض بمستوى الأمة .

وفي تصوري أن القوة مع السلبيات والحق مع الإيجابيات ولأن القضية في الطفرة الثقافية قضية فكر فإن الحق سيظفر بلا شك .

# الفصل الثالث

# التشخيص

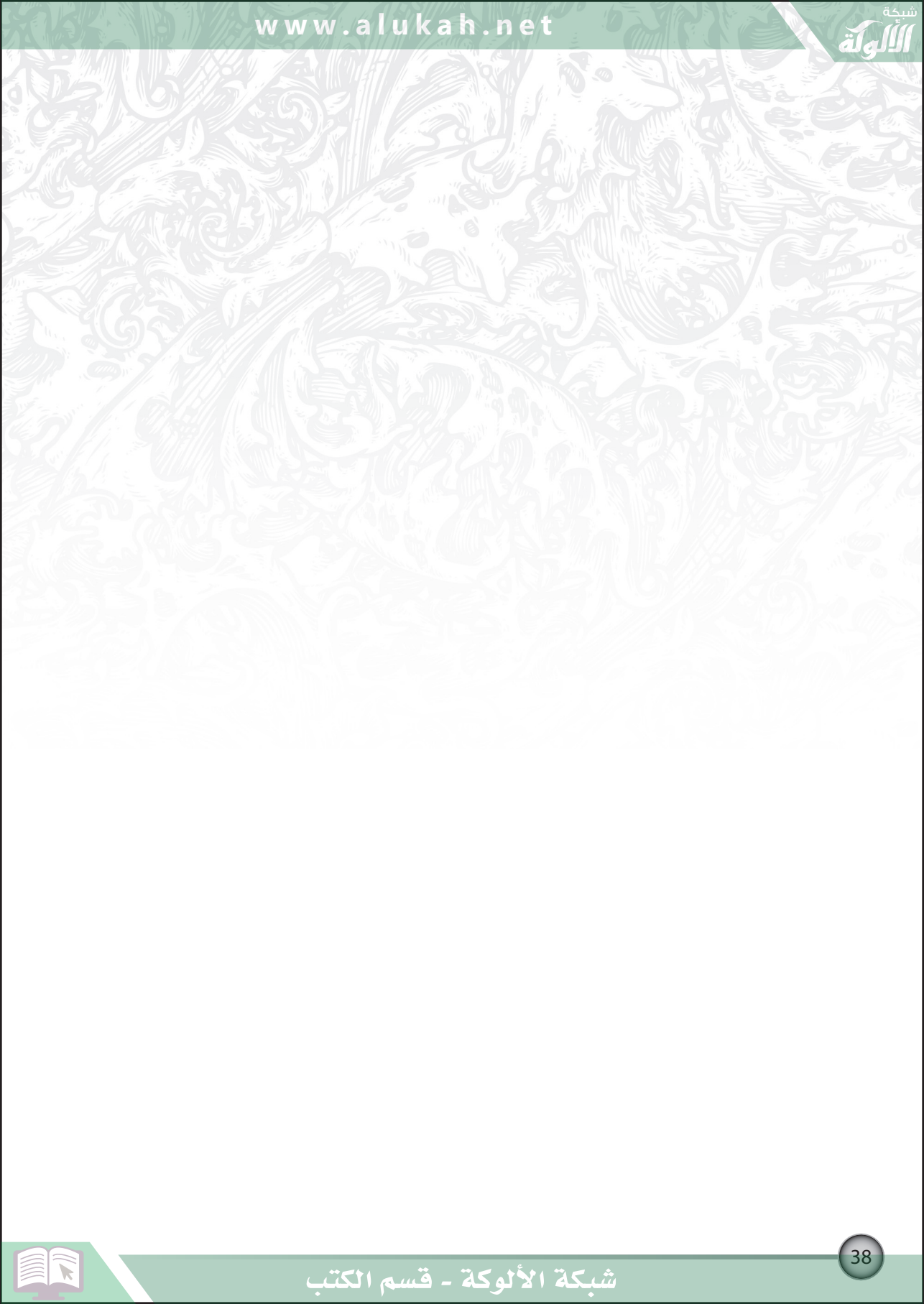

# التشخيص

الـذي يحدث اليـوم في بيئتنا الثقافية هو في حقيقتـه صراع من أجل تحديد الهويـة، وسبب هذا الصراع من أجل تحديد الهوية، هو رغبة جامحة في إحداث تغييرعن الموجود في الواقع نحو الأفضل ، والدليل على صحة هذا التشخيص هـو أن الجميع متفقون على ضرورة إحداث تغيير في الواقـع الاجتماعي، أما الصراع فعلى ماذا نغير وكيـف وإلى مـاذا ؟ انقسـم المعنيون بالساحة الثقافيـة إلى أسباط عدة ليس لهم مسميـات معلنة، ولكن الساحة الثقافيـة تعارفت علـى مسميات البعض ،والبعض الآخـر اطلقت عليها اسماً تعريفياً وهـذه الأسباط ومن وجهة نظري الخاصة هي( الليبراليون،التنويريون،المشايخ، المثقفون الحقيقيون، فكر الغلو، المستقلون) .

**من يحلو لهم تسمية أنفسهم بالليبراليين** يريدون تطبيق الطروحات الفكرية الغربية والأمريكية على وجه الخصوص ، ومنطلقهم هو أن كل عيوب الواقع الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية هي في أصلها بسبب تطبيق أحكام الشريعة وهم وإن كانوا لا يصرحون بذلك علانية إلا أن كل نقدهم ينصب على كل شرعي ، ورأينا فرحتهـم الغامـرة بإلغاء الرئاسة العامة لتدريس البنات ليس لانها متخلفة إداريـا أو لأنها لم تقم بواجبها أو لأن المحسوبية ترعرعت فيها بل بإعتبارهم وحسب مفهومهم الذي يتمنونه أن إلغاءها يمكن أن يكون خطوة نحو تعليم مختلـط، وتأييدهم الكامل لتحجيم دور هيئة الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر ، وإغتباطهم بما حصل من تحدٍ للحجـاب في منتدى جدة الاقتصادي الأول قرائن تدلل على صحـة رأيي، ونلحظ طروحاتهم اليومية والإعلامية تنصـب على قضيـة وجوب تنحية الشريعة عن الحيـاة العملية اليومية للأفراد وعـن الاستراتيجيات المؤسساتية ونلاحظهم ينظرون إلى النقطة التبريرية الوحيدة (المصالح) الموجودة في سجل الممارسات اللاحضارية لأمريكا كسبب يعللون به أحقية أمريكا لفعل ماتفعل، فتأييد أمريكا لليهود وقتلها للأبرياء في أفغانستان والعراق ، وكذبها في موضـوع أسلحة الدمار الشامـل وغير ذلك ينظرون إليه بإعتباره حماية للمصالح القومية وهو أمر جيد حسن ، ولكنهـم لا يريـدون للمسلمين أن يحافظوا على مصالحهم الإقليمية والقومية ؟! فهل هذه ليبرالية و تحرر فكري أم هـو التعريـف الأوضح للعبوديـة والتعصب الفكري لشعـب و ثقافة تعتبر معادية لثقافـة مجتمعهم؟ .شخصيا يصيبنـي الـدوار عندما أحاول فهـم الطرح الثقافي لهـؤلاء «المتلبرلين» وسميتهم هكذا لأنهـم يريدون ليبرالية الإنحـلال لغيرهـم و أرستقراطيـة المنافع لهم، ولكنـي أشعر بالإشمئـزاز و القرف و رغبة شديـدة للتقيء على وجـه (وإن لم يحلقـوا شعـر وجوههم أو قصـوه وجملوه) من يريـدون أن يلصقوا مافات بالسنـة النبوية المطهرة وفعـل الصحابـة الميامين بل و بالقرآن الكريم، وهم يفعلون فعلتهم المخزية فقط لأنهم قصروا ثيابهم ولم يلبسوا عقـلاً أو حتـى بدلـوا الثوب القصـير و الشماغ المنشي ببدلة و ربطـة عنق أو حتى جينز و تي شـيرت هؤلاء (لاأبا لهم) يشعروني برغبة في التقيوء عليهم لأنهم يتملقون لسخفاء وحتى السخفاء استسخفوهم وهم ما زالوا يمثلون بسماجة و كأنهم إسماعيل ياسين رحمة الله عليه يحاول جادا أن يؤدي دور محمود المليجي يرحمه الله وليس العكس

فبلاؤهم مضحك و مقرف.

**من يسمون أنفسهم بالتنويريين** يسعون جاهدين لإخراج ثقافة هجينة تجمع بين الشريعة ومظاهر المدنية الغربية، ونرى هؤلاء يحاولون أن يثبتوا جاهدين أن كل شيء يعتبرونه حسناً في الغرب له دليل في الشريعة والإسلام ويحاولون جاهدين أيضاً أن ينفوا أي تهمة يلقيها الغرب والبلطجة الأمريكية بالإسلام ومهمتهم ورسالتهم تتلخص في محاولة إقناع الثقافات الغربية بأن الإسلام ليس خطراً بل هو في الواقع متفق مع الأطروحات الثقافية الأمريكية خصوصاً والغربية عموماً، ونلاحظ أن هؤلاء يتملصون من الأمور الثابتة في السنة الصحيحة إلى تفسيرات وتأويلات جانبية ، رأينا هؤلاء لا يمانعون في حجاب المرأة مع التزين و من وضعها للمساحيق على الوجه مثلاً ، واعتبارهم أن الأديان إنما هي صور مختلفة لعبادة إله واحد ، ورأيناهم يشرحون الديمقراطية الإسلامية والتسامح مع اليهود والنصارى لنسمعهم كلام الله ، ووجوب حذف ما قد يؤدي إلى معاداة الثقافات الأخرى من المناهج وتحكيم العقل في الفتاوى الشرعية وليست النصوص الثابتة وغير ذلك من أطروحات تحاول تحسين الإسلام كشريعة في أعين الثقافات الأخرى عن طريق إرضائهم وليس عن طريق شرح حكمة التشريعات وهناك فرق بين أن نشرح حكمة التشريعات وبين أن نحاول إرضاء من لا يرضون عن التشريع أصلاً ، من يسمون أنفسهم تنويريين يرفعون شعار العصرنة، ولأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان فإنهم يطوعون الإسلام ليتلاءم مع الزمان والمكان وبدلاً من أن يصبح الإسلام بوصلة تحدد الإتجاه إذا به يتحول إلى عجينة تأخذ أي شكل مطلوب!! هؤلاء العصرانيون أو التنويريون لا يهاجمون الشريعة والفكر كما يفعل الليبراليون (أو كما يفعل من لا أبا لهم) بل يهاجمون المتخصصين فيها أو الملتزمين بها ويحلو لهم أن يصفوهم بالمتزمتين أو المتشددين أو المتنطعين أو غير ذلك وبطبيعة الحال يتصارع هؤلاء التنويريون مع الليبراليين لأنهم يريدون الشريعة ولكنهم يريدون تحسين مظهرها أما الليبراليون فلا يريدون الشريعة ولا حتى لو تم تحسين مظهرها وضاع في طوشتهم من لاأبا لهم .

**أما المجموعة التي اصطلح على تسميتهم بالمشايخ** فعندهم أولوية واحدة فقط ألا وهي إرضاء الموقف الثقافي المعلن ومنطلقهم الخيِّر المقصد والمعقول منطقياهو بدون وجود استقرار سياسي فلن يوجد استقرار فكري اجتماعي ولن يكون من الممكن تفعيل أي إصلاح ( وهو المصطلح الذي يطلقونه على التغيير نحو الأفضل) ،ولا يشك عاقل في أهمية منطلقهم فبدون استقرار (راجع معنى المصطلح في الفصل السابق) لايمكن الحوار ولن تكون هناك ثقافة أصلاً ، ولكننا نراهم يجَرِّمون أي نقد ويهاجمون أي اعتراض على طروحاتهم الشخصيه التي صيغت بدقة متناهية لتتوافق مع تصوراتهم ويخافون خوفاً غير مبررٍ من إحتمال عدم رضى الموقف المعلن ، ومن شدة خوفهم من السياسة سيسوا كل شيء وطلع الذئب لمن

خـاف منه، كونت فئة المشايـخ هذه دليلاً قوياً لليبراليين بإعتبار أنهم رجال ديـن ولولا الدين لما كانوا ولما وجدت الأخطـاء مـبرراً لحدوثها ، وهم أيضاً، أي المشايـخ، الأصل الذي بنى عليه التنويريـون طروحاتهم ، فالمشايخ في نظر التنويريين ليسوا مؤهلين في هذا العصر لحمل رسالة التشريع إلى العالم المعاصر وهم بطروحاتهم الجامدة والرتيبـة غـير قادرين على احتواء ما يحدث في العـالم المعاصر وبدورهم قام المشايخ بوصـف الليبراليين بأنهم معـادون للشريعـة وليس بينهم وبـين الزندقة إلا الاعتراف بمقاصدهـم أو محاكمتهم لإثباتهـا عليهم، والمشايخ يقفون عائقاً أمام أنفسهم هم لأن الموقف المعلن لا يريد محاكمتهم والمشايخ لا يريدون عدم إرضاء الموقف المعلن، ويصـف بعض المشايخ بعض التنويريين بأنهم شكل جديد للفئات الضالة التي ظهرت في عصور الإسلام السابقة مثل المرجئه مثلاً، وعليه فإنهم ضلوا الطريق ويريد المشايخ أن يدعوهم إلى الإسلام الصحيح ،ولكن تبرز المشكلة أمـام المشايخ مـن أنفسهم أيضاً فالموقف المعلن لا يريد لهذه الدعوة أن تحصل لأن تراضي المشايخ مع التنويريين يطـور عقليـة المشايخ ويصحح مفاهيم التنويريين وهـو أمر سيفقد الموقف المعلن ميزة وجـود فئة سَخَّرت نفسها للتدليل على صحة كل ما يفعل وما يُقال : أما من لا أبا لهم فبعد أن ضاعوا في طوشة التنويريين والليبراليين وبعد دخول المشايخ الساحة صاروا كمن قال فيهم أبو الطيب المتنبي صغرت عن المديح فقلت أهجى فلانهم أصغر من أن يحسب لهم حساب فاليشتموا إذا المهم أن تظهر أسماؤهم ...ألم أقل لكم إنهم مقرفون؟

**وهنـاك طائفـة المستقلـين** وهم طائفة تتعدد طروحاتهم بتعدد أعدادهـم، فلكل فرد منهم اطروحة مستقلة، وتجمعهـم فكـرة (قل ما تشاء كيفما تشاء) ، البروز الشخصي هو الأهم لدى هـذه الفئة ويشكل هؤلاء المستقلون مصـدراً نافعاً مهماً لليبراليين الذيـن يستخدمونهم أحياناً، فتأثير هؤلاء الحقيقي هو الحاجة لشخصهم وليس لطروحاتهم ، وقد رأينا مثل هذه الآراء في الحوار الوطني، فالواحد يصنف على أنه فئة، فرأينا رجلاً واحداً خرج بفكـرة مترجمـة أسموها تشريح النص، فالتقفه الليبراليون وجعلو منه إتجاه وأطلقوا عليه ما كان يسمى في يوم من الأيام الحداثة ثم انتهى دوره وبرز ثانية في الحوار الوطني على إعتبار أنه إتجاه قائم بذاته، هؤلاء المستقلون ،هم أحد أهم سمات طفرتنا الثقافية ، فكلما خرج شخص كتب النطق اللاتيني بحروفٍ عربية صار مثقفاً، وهم في الحقيقة كثر تماماً مثل دلالي العقار أيام الطفرة المالية.

**وهنـاك مـن أحسبهـم مـن طائفـة المثقفين الحقيقيـين** ، فقد تميزوا بـأن تتحدث أعمالهـم عنهم ولا تجدهم يتكلمون عن أنفسهم بشيء، فهمهم الأوحد إظهار ما يعتقدون أنه حق والحق هو ما يصلح أن نعبد الله تعالى به ، همهـم الوحيـد رضى الله تعالى ورسوله لاغير، سواءرضيت أمريكا أم غضبت، وسواء وصموا بالجمود أو وصفوا بالأفق الواسع، المدح والذم عندهم سواء ، لم يستطع الليبراليون خداعهم لسعة أفقهم ولم يتمكن التنويريون من احتواهـم لوضوح رؤيتهم ولم يحاول المشايخ اقناعهـم لغزارة علمهم، ولم يتمكن المستقلون من ضمهم إلى فئتهم لأنهـم ليسـوا مستقلين عن دينهـم وسنة رسولهم ، هؤلاء المثقفـون الحقيقيون يحاولون جاهديـن هداية المجتمع

وقطف ثمار الطفرة الثقافية ويجهدون أنفسهم في تنقيتها من الخبث ويريدونها أن تنموا نمواً طبيعياً، تنقصهم في نظري بعض المهارات الليبرالية والمظاهر التنويرية و كثير من التركيز على الهدف البعيد و الأهداف المرحليه، وهم يكتسبون كل ذلك تدريجياً من محاولاتهم الجادة في البحث عن الحق وتطبيقه ، هؤلاء هم العقبة الكؤد أمام البلطجة الأمريكية ، هؤلاء في ظني هم من سيحولون الطفرة الثقافية إلى إحداث تغير إيجابي في الواقع الاجتماعي .فالليبراليون ليس لهم عمق اجتماعي فيما أظن، فهم مجموعة من العجائز لن يجدوا واحداً يحمل فكرهم بعد نفوقهم ، والتنويريون لن يمسكوا بالسراب بعضهم سيقتنع أن إرضاء الغرب سراب أو سيموت في لهثه وراء ذلك السراب ، والمشايخ لن يكون مصيرهم أفضل من التنويريين فإرضاء الناس غاية لا تدرك، والمستقلون سيبقون كسمة من سمات أي ثقافة، أما من لا أباً لهم فعلينا أن نفترض وجود دنيا بلا إبليس وهوغير ممكن على الجادين تجاهلهم و الحذر من مظاهرهم فبينهم وبين الأبالسة صفة مشتركة وهي أنهم يروننا وقبيلهم من حيث لا نراهم ، أما المثقفون الحقيقيون سيبقون وسينتفع منهم الموقف الرسمي لأن النقد والمعارضة لا تعني أبداً عدم الرضى عن المواقف الرسمية بل هي في الواقع دليل على التمسك به وحب الخير له وللبلاد ، وستضطر أمريكا والغرب للتعامل معهم بندية ، وسيثبتون أنفسهم إنهم أهلاً للثقة وهم من سيحددون هوية المجتمع وهى الإسلام كما نزل في القرآن وطبّقه الرسول .

وفي طفرتنا الثقافية طائفة ظهرت كردة فعل لكل ما سبق فلا هي قادرة على تحمل اللبراليين ولا إحتواء التنويريين ولا الخضوع للمشايخ ولا الانضمام للمستقلين ولا التحاور مع المثقفين الحقيقيين فاختارت نبذ الجميع ونشدت ما تعتقد أنه الكمال ورفعت شعاراً لتطبيق الإسلام، وكأن الإسلام برنامج حاسب آلي يمكن تطبيقه بضغطة أزرار، هذه الفئة أريد أن اسميها فئة أهل الغلو ففي منهج فكرهم غلو في كثير من الأمور وهم ردة فعل طبيعية لصفاقة من يدعون أنهم الليبراليون وسلبية المشايخ وربما لضعف مهارات الإحتواء لدى المثقفين الحقيقيين ،هذه الطائفة التي اختارت لنفسها الوصول إلى عموميات فكرها عن طريق القوة كانت وقوداً هاماً للبلطجة الأمريكية ، وأدلة واقعية لليبراليين على وجوب تنحية الشريعة من الحياة واستبدال(يقولون تحديث أحياناً) المناهج الشرعية ، وكانت ذريعة للتنويريين على صحة مسلكهم ، والحق أن الغلو ظاهرة متوقعة في غياب السماح للرأي الحر والحوار الهادف الصريح بأخذ مكانه في إحداث التغيير الاجتماعي ، فكل فكر لا يناقش في الضوء ينمو في الظلام . وعلى الرغم من أن المنضمين (ومنهم ممن لاابا لهم) إلى فئة الغلو لم يأبهوا أصلاً للمشاركة في الطفرة الثقافية إلا أنهم اختاروا أن يفرضوا أطروحاتهم بطريقتهم الخاصة ، واختصروا كل السلبيات الاجتماعية التي تعيشها الطفرة في سبب واحد وهو الموقف الرسمي وهم بذلك يتشابهون من حيث المبدأ مع الليبراليين، فكلاهما صاحب أفق ضيق جامد ولا يعترفون بتعدد الأسباب للأمر الواحد ، وتشابهوا أيضاً من حيث المبدأ مع المشايخ

لأنهم أصحاب هدف واحد، فالمشايخ أولويتهم إرضاء الموقف الرسمي لضمان تكوين مناخ استقراري يسمح بتغيير اجتماعي نحو الأفضل وأصحاب فكر الغلو أولويتهم تحدي الموقف الرسمي لإجباره على إحداث تغيير وهكذا وجدوا أنفسهم غير مقبولين عند أفراد المجتمع وعند المشاركين في الطفرة الثقافية، وعلى الرغم من محاولات المثقفين الحقيقيين في معالجة بذرة الغلو عن طريق مناقشة الآراء في النور وتبيين الحق والطريق الصحيح لأفراد المجتمع ومحاولة إحتواء أفراد وقيادات فكر الغلو إلا أن المشكلة ظهرت في عدم إقتناع الموقف الرسمي بالتفاهم معهم لأن التفاهم معهم يعني أن نعطيهم اعتباراً وقيمة معنوية وهو ماجعلهم يأخذون هذا التوجه كدليل على وجوب الاستمرار في التحدي، والواقع العملي يؤكد حقيقة مفادها إن فكر الغلو لا يمثل ظاهرة، وليس له تأثير حقيقي من حيث أطروحاته وأفكاره ولكنه على الرغم من صغر حجمه وإنعدام تأثيره استطاع أن يفرض نفسه على الساحة الثقافية وبقوة وساهم فعلياً أو عملياً في تحويل ساحتنا الثقافية إلى طفرة ثقافية، لقد استطاع فكر الغلو أن يحول بضجيجه الأنظار إليه وأن يحدث معارك جانبية بين جميع الفئات على الساحة الثقافية عن طريق تضارب الآراء في طريقة التعامل معه ، والسبب الذي أدى إلى هذا الأمر إنما هي طريقة التعامل مع فكر الغلو و ليس الغلو نفسه ، ليس لدى فكر الغلو ما يفقده فهو في طريق وحيد الإتجاه ويظن أن ليس له خط رجعة وقد إختار التحدي، فكل مواجهة عنيفة له ستزيد من تحديه وعلى الرغم من إنه سينتهي وينقرض ويصبح نقطة سوداء في تاريخ الساحة الثقافية وهو سينتهي ليس لأن القوة انتصرت عليه بل لأن عمره الإفتراضي إنتهى ومعينه الثقافي جف ولم يعد يوجد مايكفي من المجانين (أو ممن لا أباً لهم) كوقود لسعيره وهو أمر يعود الفضل فيه لجهود المثقفين الحقيقيين في توعية المجتمع بخطورته وليس لخوف المجتمع من قوة محاربيه وهذه الفروق مهمة لأننا يجب أن نعي أهمية الحوار و إقناع المجتمع في القضاء على الغلو الفكري، عثمان رضي الله عنه وعلي كَرّم الله وجهه وكل الصحابة تعلموا من المعلم الأكبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن الفكر الخطأ يجب أن يستبدل بفكر صحيح، وبقليل من التدبر نستطيع أن نستنتج أن هذه سنة ربانيةوإلا لماذا أرسل الله الرسل ولم يستبدل الأمم الكافرة بأمم مؤمنة؟!، الفكر الخطأ لايقتل بل يستبدل بفكر صحيح ودائما يمكن فعل هذا، هل رأيتم ظلمة تحجب نوراً؟!. ولكن المعركة مع فكر الغلو و دحره (من غير الممكن استئصاله) ستخلف آثاراً تدميرة لن تكون بلا ضرر مستديم على المجتمع وعندما ينتهي فكر الغلو فإنه سيترك الآثار السلبية التالية :

١ – إعطاء فرصة للأجنبي وعلى الأخص البلطجة الأمريكية للتدخل مباشرة في الساحة الثقافية .

٢ – الحزازات والترسبات التي تتركها المعارك الجانبية بين الفئات الثقافية في المجتمع .

٣ – ضياع وقت وجهد وأموال ، كان يمكن أن تستغل في التطوير. وسأفرد فصلاً خاصاً بعنوان النار لا

# الفصل الرابع
# النار لا تطفيء اللهب

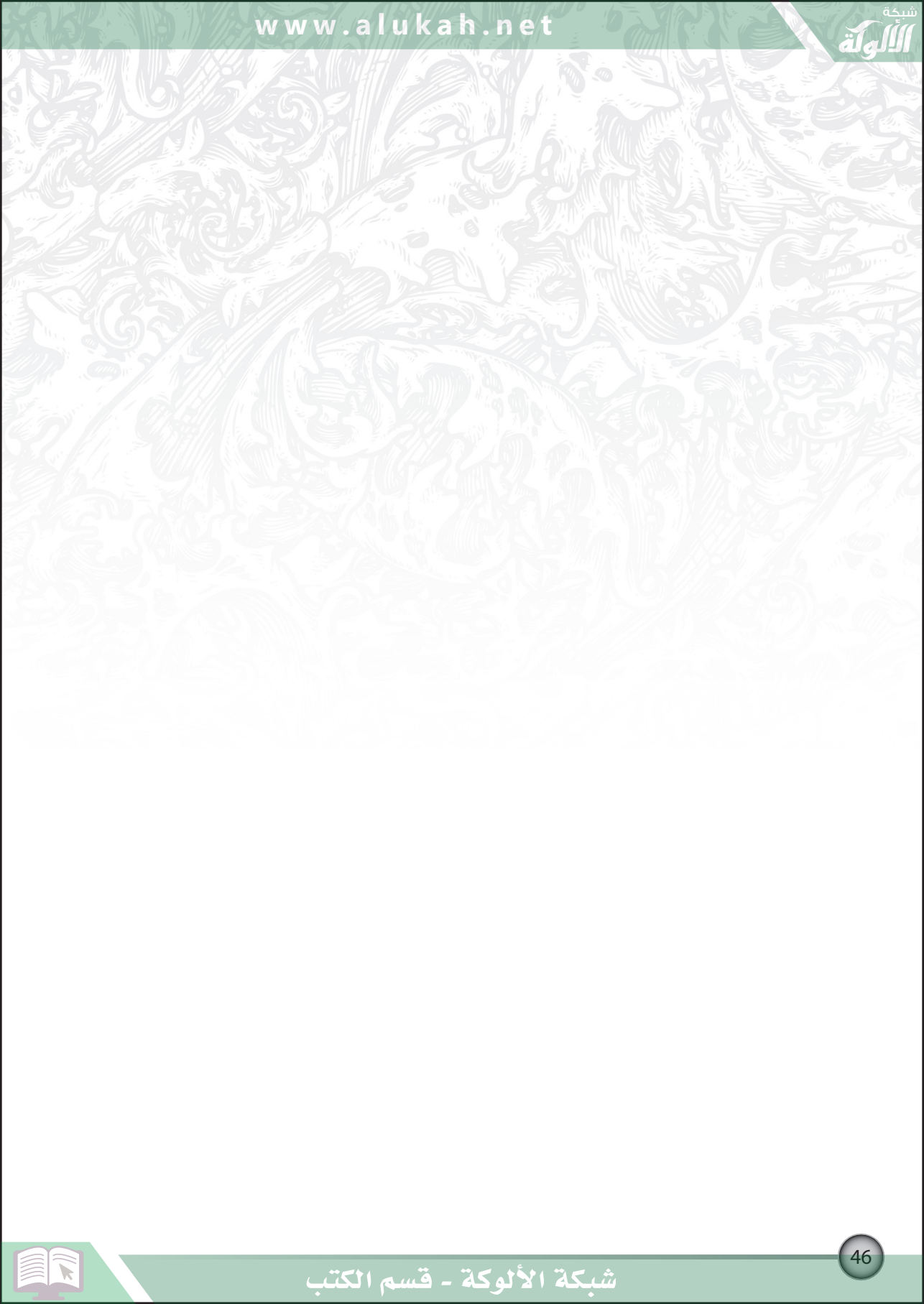

تطفي اللهب لقضية فكر الغلو،و اتبعه ببيان مكة المكرمة عن الإرهاب.

## النار لا تطفيء اللهب

قضيــة التفجـيرات الغاشمة الآثمة التي حرّمها كل دليل شرعي صحيـح و خالفت ثوابتنا وخرجت عن شريعتنا وشوهت إسلامنا وروعت وطننا و قضّت مضاجعنا وأدمت قلب كل مخلص غيور على بلده وإستاء منها كل عاقل والتي يدينها ولا يقرها كل من اتبع سنة الرسول الهادي و ينكرها كل ناه عن منكر وكل آمر بمعروف، قضية يجب التوقف عندها، والبحث فيها لأنها مطلب شرعي يخدم المحافظة على الضرورات التي جاءت بها مقاصد الشريعة .

فهـو يحفظ ضرورة المحافظة على الدين بالدعوة إلى التزام منهج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في الحكم على القضايا والنوازل والتعامل مع أفراد البشر وأصنافهم .

و يحفـظ ضـرورة المحافظة علـى النفس بمنع إزهـاق الأرواح والقتل بغير ما أمر بـه الشرع .و يحفظ ضـرورة المحافظـة على العقل بتبيين الحق مـن الباطل والحوار على أسس شرعيـة منضبطة بقواعد فقه أهـل السنـة والجماعة والسلـف الصالح .وهو يحفظ ضـرورة المحافظة على العرض بمنـع الاعتداء على أعراض المسلمين سواءً أكانت جسدية أو معنوية .وأخـيراً فإنه يحافظ على ضرورة حفظ المال الخاص و العام من إتلافه أو السفه في إسرافه، وإنطلاقاً مما سبق فإنني اعتقد إنه يجب أن نناقش ما يحدث الآن بموضوعيـة وعقلانية تمليهـا علينا مصالحنا الوطنية كمسلمين دستورهم القـرآن و نروم اسقرار بلادنا والسير في طريق تنميتنا المرجوة ومن وجهة نظري أرى أن الموضوعية تقتضي مايلي:

- **أولاً :يجب تحرير وتحقيق المصطلح :**

بمعنى عدم تسمية التفجيرات التي تحدث في بلاد المسلمين بالإرهابية ( لايوجد في ثقافتنا كمسلمين مصطلح إرهاب، لأننا لم نعرفه كما عرفته الثقافة الغربية أيام الثورة الفرنسية أو أيام التفرقة العنصرية الظاهرة في أمريكا ) بل تسميتها بإطلاق لفظ مصطلح شرعي على مايصفها ، مثل أعمال باغية ، أعمال حرابيـة .. الـخ ، أمـا بالنسبة لوقوعها خـارج البلاد فيتم شـرح معنى المصطلـح أي الإرهاب من منظور الشريعـة والدفاع عنها أي الشريعة ، إن المحافظة على المصطلحات الشرعية فيه التزام بالعلوم الشرعية نفسها،والمحافظـة عليها من الإندثار باستبدال مصطلحاتها المتفق عليها منذ عصر القرون المفضلة وهو مطلب هام .

- **ثانياً : عدم المسارعة بتجريم فكر الغلو:**

(دون أو قبل أخذ كل السبل لتأكيد الفاعل الحقيقي) في أي حادث يحدث ففي هذا تغطية على كل مجرم ، وتبرئة المتهمين الآخرين ، وليس في هذا دفاع عن أو احترام أو تبرير لفكر الغلو ،بل هو تحقيق للعدالة (إن الله يأمر بالعدل....) الآية واستجلاء للواقع( ولا يجرمنكم شنآن قوم ألا تعدلوا...) الآية كما أنه يضمن عدم يئس أهل الغلو من التوبة ويضمن عدم تجرؤ المجرمين على الإضرار بالأمن مثل التهريب و السرقة و القتل أو مثل الثأرو الإنتقام أو حتى تفريغ شحنات كراهية على المجتمع بعد أن آمنوا أن التهمة جاهزة ومسبقة على غيرهم .

- **ثالثاً: الشجاعة في اظهار التزام ثوابت الأمة:**

مثل الولاء والبراء والجهاد وغيرها حتى ولو كان ضد رغبات جهات أجنبية غير مسلمة أو مسلمة لا تعترف بهذه الثوابت و التركيز على قضية أننا نحارب الخطأ لأن الشريعة أقرت أنه خطأ وليس لأن تصوراتنا صادفت تصورات غيرنا من غير أهل الشريعة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم عندما أقر حلف الفضول أقره لأن الشريعة تقر المحافظة على الأموال وترفع الظلم عن الإنسان( بصرف النظر عن معتقده فالعدالة في شريعة الإسلام حق إنساني لكل فرد يعيش بل هي حق حتى للحيوان) وليس لأنه صدر من كبار قريش و تأليف معجم إسلامي للمصطلحات الإسلامية يتم ترجمة المصطلحات الشرعية كما جاءت في أمهات كتب الفقه وغيرها إلى اللغات الحية وخصوصاً الأوروبية والآسيوية، مثلاً ترجمة معنى الجهاد والحسبة ومعنى الحرابة .. الخ كما يحتوي المعجم على شرح المعنى الإسلامي والمفهوم الشرعي للمصطلحات المستحدثة مثل أصولية ، تطرف ، إرهاب .. الخ .

- **رابعاً : الفكر لا يواجه إلا بفكر :**

وعدم الخوف من محاورة فكر الغلو وغيره من الأفكار الضالة وعدم الرهبة من جعلها تطرح أسباب سلوكياتها الخاطئة ، والرجوع إلى الحق (إن وجد) من أسبابهم مع عدم تقرير سلوكياتهم الخاطئة حتى لو كانت أسبابها صحيحة .وعدم الخوف من توجيه اتهام مبني علي دليل للجناة مهما كانت توجهاتهم. والحوار يختلف جوهريا عن التفاوض، فالتفاوض يعني الاعتراف بأصحاب فكر الغلو ومحاولة الوصول إلى حلٍ وسط معهم وهو أمر مرفوض جملة و تفصيلاً ، أما الحوار فهو لإظهار حقيقة فكرهم الضال للمجتمع من أفواههم مما يؤدي لدحض حججهم ،في نفس الوقت الذي يرى فيه المجتمع بأم عينيه قوة حجة الوسطية الإسلامية، و الحوار فرصة لبعضهم بالرجوع للحق وتصحيح أفكارهم وهو أحب إلينا من استمراهم في غوايتهم ولا يعني هذا رفع إيقاع العقوبة الشرعية على المرتكب للخطأ منهم.

- **خامساً : عدم استفزاز الشباب بالمنكرات ، وعدم تحديهم:**

عندما يسلكون سلوكاً خطأ ، ففي استفزازهم بوجود المنكرات دون فعل عملي منظم ومعتدل لمنعها يعطي الفرصة لشياطينهم بتحريضهم على الخطأ، أما تحديهم يعطيهم مبرراً للتخريب ، وهو أمر لا يخدم مصالح الأمة ،إذ مصالح الأمة تقتضي إصلاح العباد والمحافظة على الممتلكات و مبدأ انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً يؤيد (والله أعلم) فيجب علينا التوجه إلى الشباب في سن الفتوة ( ١٦-٢٠ ) ببرامج تربوية تحاورهم وتناقش افكارهم ومشاعرهم وتطلعاتهم بصراحة والبعد عن أسلوب التوجيه المحض و النظر في المناهج الدينية وتطوير أسلوب عرضها دون المساس بالمضمون الشرعي للشريعة ( أنظر: رابعاً،خامساً، سابعاً ) لأن الغاء ما هو ثابت في الشريعة من المناهج أو ذكره ناقصاً يؤدي إلى دفع الشباب إلى تعليم أنفسهم، أو اللجوء في الخفاء إلى من يعلمهم وبذلك نُفوتُ على المصُلحين فرصة تعديل المفاهيم ونتركهم صيداً جاهزاً لدعاة الانحراف بالاستفراد بعقولهم بل ولربما نترك الفرصة لأعداء الأمة فيجندونهم لخدمة مصالحهم .وهذا يقتضي ترك المجال للمُصلحين بتأدية دورهم.

- **سادساً : تكوين لجنة بحوث من علماء المسلمين:**

يستقصون فيها حقائق ( ١١ سبتمبر) ونشر الحقائق عنه للعالم وأيضاً تقصي مجالات الإفساد في الأرض التي ظهرت من بعض الدول غير المسلمة مثل إفساد البيئة (وفي العالم الغربي مثل هذه اللجنة وهي المسماة بالسلام الأخضر) وايقاع ذات البين لاقامة الحروب وبيع السلاح ودعم عدم الاستقرار مثل الانقلابات وغيرها ، وإقامة محكمة عدل دولية إسلامية تقوم باصدار أحكام شرعية على الأحداث العالمية مثل عدم التوقيع على إتفاقيات تقتضي عدم الافساد في الأرض مثل : دفن المخلفات النووية أو دعم ثوار لمجرد زرع عدم الاستقرار أو تخريب البنية الاقتصادية للدول النامية بتدبير من الشركات الكبرى، وعلى الرغم من أن هذه المحكمة ليس لها سلطات تنفيذية إلا أنها تعطي الرأي الشرعي الإسلامي في الأحداث العالمية، ومما يعطي الأمة المسلمة زمام المبادرة بالدعوة لإصلاح الكوكب الذي نعيش علية،وبالتالي دحض الإفتراءات قبل وقوعها أصلا.

- **سابعا : تطوير الآليات التي تجعل الأمة المسلمة مستقلة بثرواتها وقدراتها :**

عن التبعية، مثل: الدعوة إلى إقامة سوق إسلامية مشتركة تشجع التعامل الاقتصادي بين المسلمين وتنافس عالمياً .ومثل تدريب الشباب على المهن الاقتصادية النافعة وإقامة مراكز بحوث علمية وزيادة الانفاق الحكومي والعام؛ لإنشاء وتطوير مراكز بحوث في جميع المجالات وتشجيع الميسورين علىإقامة مراكز بحوث استراتيجية .

**ثامنا : ضرورة تطوير واصلاح إدارة القضاء الشرعي وآليات تنفيذ أحكامه:**

اذا أن تطوير إدارة القضاء والارتفاع بمستوى القضاه العلمي والشخصي يؤكد على قدرة ولي الأمر على رد المظالم والأخذ على يد المعتدي مهما كان ، كما أن تطوير آليات تنفيذ الأحكام الشرعية، تردع المجرمين و المحرضين و تعطي الأمل بالتوبة .إن عدم تطوير إدارة القضاء واليات تنفيذ الأحكام تؤدي إلى اليأس من العدل وتجعل المخطيء يندفع إلى أخذ ما يعتقد ويظن أنه حق بيده وهذه هي بذرة الإفساد والغلو .

## بيان مكة المكرمة

**بشأن: التفجيرات والتهديدات الإرهابية**

**أسبابها - آثارها - حكمها الشرعي - وسائل الوقاية منها**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته السابعة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة، في الفترة من ١٩-١٤٢٤/١٠/٢٣هـ الذي يوافقه: ١٣-٢٠٠٣/١٢/١٧م، قد نظر في موضوع: (التفجيرات والتهديدات الإرهابية: أسبابها – آثارها – حكمها الشرعي – وسائل الوقاية منها) وقد قدمت فيه أبحاث قيمة. شخصت هذا الداء الوبيل وحذرت مما ينجم عنه من الفساد العريض والشر المستطير وأوضحت حكمه في شرع الله بالقواطع من الكتاب والسنة والحكمة والتعليل، ووصفت العلاج الناجع لقطع دابره، وقلع نبتته الخبيثة من مجتمعات المسلمين.

وقد عرضت ملخصات لهذه الأبحاث من قبل مقدميها، وجرت حولها مناقشات مستفيضة أكدت الحاجة إلى بيان حكم الشرع المطهر فيه لعموم المسلمين أفراداً وجماعات ودولاً وشعوباً، ولغير المسلمين من مفكرين ومنظمات وهيئات ودول.

والمجلس إذ يدرك – بألم بالغ وحزن عميق – خطورة آثار الأعمال الإرهابية والتفجيرات التدميرية في البلدان الإسلامية بخاصة، وفي أقطار العالم وأمم بعامة، وما خلفته من ضحايا بشرية بريئة، ومآس إنسانية خطيرة، وإتلاف للأموال التي بها قوام حياة الإنسان، ودمار في المرافق والمنشآت، وتلويث للبيئة التي ينتفع بها الإنسان والحيوان والطير.

وإذ يذكر المجلس ببيان مكة المكرمة بشأن الإرهاب الصادر عنه في دورته السادسة عشرة التي عقدت في مكة المكرمة في الفترة من ٢١-١٤٢٢/١٠/٢٦هـ الذي يوافقه ٥-٢٠٠٢/١/١٠م.

وما اشتمل عليه من بيان لتحريمه وتجريم مرتكبيه في شريعة الإسلام، وشجب واستنكار لما يلبس به

المغرضون والحاقدون من ربطه بدين الإسلام واتهامه به زوراً وبهتاناً، فإنه يقرر إصدار هذا البيان باسم « بيان مكة المكرمة بشأن التفجيرات والتهديدات الإرهابية».

**وذلك وفق ما يلي:**

- **أولاً:** إن الإرهاب مصطلح، لم يتفق دولياً على تعريف محدد له، يضبط مضمونه ويحدد مدلوله.

لذا فإن مجلس المجمع يدعو رجال الفقه والقانون والسياسة في العالم إلى الاتفاق على تعريف محدد للإرهاب تنزل عليه الأحكام والعقوبات، ليتحقق الأمن وتقام موازين العدالة، وتصان الحريات المشروعة للناس جميعاً، وينبه المجلس إلى أن ما ورد في قول الله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ» (الأنفال:٦٠). يعني إعداد العدة من قبل المسلمين ليخافهم عدوهم، ويمتنع عن الاعتداء عليهم وانتهاك حرماتهم، وذلك يختلف عن معنى الإرهاب الشائع في الوقت الحاضر.

ويشير المجمع في هذا الصدد إلى ما ورد في بيان مكة الصادر عن المجمع بأن الإرهاب: هو العدوان الذي يمارسه أفراد أوجماعات أو دول بغياً على الإنسان في دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية للخطر فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عنها، قال تعالى: «وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»(القصص:٧٧).

- **ثانياً:** إن عدم الاتفاق على تعريف محدد للإرهاب اتخذ ذريعة إلى الطعن في أحكام قطعية من أحكام الشريعة الإسلامية، كمشروعية الجهاد والعقوبات البدنية من حدود وتعزيرات وقصاص، كما اتخذ ذريعة لتجريم من يدافع عن دينه وعرضه وأرضه ووطنه ضد الغاصبين والمحتلين والطامعين، وهو حق مشروع في الشرائع الإلهية، والقوانين الدولية.

- **ثالثاً:** استنكار إلصاق تهمة الإرهاب بالدين الإسلامي الحنيف – دين الرحمة والمحبة والسلام– ووصم معتنقيه بالتطرف والعنف، فهذا افتراء ظالم تشهد بذلك تعاليم هذا الدين وأحكام شريعته الحنيفية السمحة، وتاريخ المسلمين الصادق النزيه. قال تعالى مخاطباً نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء: ١٠٧ وقال عز من قائل: (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ

النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) إبراهيم:١-٢ ، وقال: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ...) آل عمران:١٥٩، وقال: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) الأعراف:١٩٩، وقال: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) التوبة:١٢٨. وقال صلى الله عليه وسلم: « بعثت بالحنيفية السمحة وقال لأصحابه: « إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين « رواه البخاري في صحيحه، وقال: « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا متفق عليه، وقال: « إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه رواه مسلم في صحيحه، وقال: « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه « وقال: « من يحرم الرفق يحرم الخير كله رواهما مسلم.

- **رابعاً:** لوجود الغلو والإرهاب في بعض المجتمعات الإسلامية أسباب عديدة ومتنوعة، قد توجد جميعها في بيئة معينة أو زمن معين، وقد تختلف باختلاف البيئات والأزمان، منها ما يعود إلى المنهج العلمي، كالتأويل واتباع المتشابه، أو إلى النهج العملي، كالتعصب ونحوه، وتحديد الأسباب ومعالجتها، عمل علمي يجب أن يتوافر عليه مختصون، يدرسون الواقع عن علم، فلا تكون الأقوال ملقاة على عواهنها، وقد لحظ المجلس كثرة الخلط في الكتابات عن أسباب الغلو والإرهاب، مما يستدعي دراستها بعلم ورشد ووضع السبل لمعالجتها، ويرى المجلس في مقدمة هذه الأسباب :

١) اتباع الفتاوى الشاذة والأقوال الضعيفة والواهية، وأخذ الفتاوى والتوجيهات ممن لا يوثق بعلمه أو دينه، والتعصب لها. مما يؤدي إلى الإخلال بالأمن وشيوع الفوضى وتوهين أمر السلطان، الذي به قوام أمر الناس وصلاح أمور معاشهم وحفظ دينهم.

٢) التطرف في محاربة الدين وتناوله بالتجريح والسخرية والاستهزاء والتصريح بإبعاده عن شؤون الحياة، والتغاضي عن تهجم الملحدين والمنحرفين عليه وتنقصهم لعلمائه أو كتبه ومراجعه وتزهيدهم في تعلمه وتعليمه.

٣) العوائق التي تقام في بعض المجتمعات الإسلامية في وجه الدعوة الصادقة إلى الدين الصحيح النقي المستند إلى الكتاب والسنة وأصول الشرع المعتبرة على وفق فهم سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة المعتبرين.

فإن التدين فطرة فطر الله عباده عليها، ولا غنى لهم عنه، فمتى حرموا من العلم بالدين الصحيح والعمل به تفرقت بهم السبل، وتلقفوا كُلَّ خرافة وتبعوا كل هوى مطاع وشح متبع.

٤) الظلم الاجتماعي في بعض المجتمعات ؛ وعدم التمتع بالخدمات الأساسية، كالتعليم والعلاج،

والعمل، أو انتشار البطالة وشح فرص العمل، أو تدهور الاقتصاد وتدني مداخيل الأفراد، فكل ذلك من أسباب التذمر والمعاناة، مما قد يفضي إلى ما لا تحمد عقباه من أعمال إجرامية.

٥) عدم تحكيم الشريعة الإسلامية في بلاد غالبية سكانها من المسلمين، وإحلال قوانين وضعية محلها مع وفاء الشريعة بمصالح العباد وكمالها في تحقيق العدالة للمسلمين وغيرهم ممن يستظل بظلها، ويتمتع برعايتها، كيف لا وهي شرع الله الذي (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) فصلت:٤٢ .

٦) نزعة التسلط وشهوة التصدر التي قد تدفع ببعض المغامرين إلى نشر الفوضى وزعزعة أمن البلاد، تمهيداً لتحقيق مآربهم غير آبهين بشرع ولا نظام ولا بيعة.

- **خامساً: آثار الإرهاب** : إن أعمال الإرهاب عدوان على النفس والمال وقطع للطريق وترويع للآمنين، بل وعدوان على الدين، حيث تصور الدين بأنه يستبيح حرمة الدماء والأموال، ويرفض الحوار، ولا يقبل حل المشكلات والنزاعات مع مخالفيه بالطرق السلمية، كما يصور المسلمين بأنهم دمويون ويشكلون خطراً على الأمن والسلم الدوليين، وعلى القيم الحضارية وحقوق الإنسان، وهذا يؤدي إلى أضرار ومفاسد تنعكس على مصالح الأمة الإسلامية الأساسية، وتعوق دورها الرائد في نشر السلام والأمن وتبليغ رسالة الإسلام للناس، وحماية حقوق الإنسان، وتضر في نفس الوقت بعلاقات المسلمين السياسية والاقتصادية والتجارية والثقافية والاجتماعية مع غيرهم من الشعوب، وتضيق على الأقليات الإسلامية التي تقيم في دول غير إسلامية وتعزلهم سياسياً واجتماعياً وتضر بهم اقتصادياً، سواء اكان هؤلاءهم مواطنون في هذه الدول، أم وافدون إليها لدراسة أو تجارة أو سياحة أو سفارة أو مشاركة في المؤتمرات والمحافل الدولية.

- **سادساً: الحكم الشرعي في الأعمال الإرهابية من تخريب وتهديد وتفجيرات :** الأعمال الإرهابية التخريبية من تفجير للمنشآت والجسور والمساكن الآهلة بسكانها الآمنين معصومي النفس والمال من مسلمين وغيرهم ممن أعطوا العهد والأمان من ولي الأمر بموجب مواثيق ومعاهدات دولية، وخطف الطائرات والقطارات وسائر وسائل النقل وتهديد حياة مستخدميها وترويعهم وقطع الطرق عليهم وإخافتهم وإفزاعهم، هذه الممارسات، تشتمل على عدد من الجرائم المحرمة التي تعتبر في شرع الإسلام من كبائر الذنوب وموبقات الأعمال، وقد رتب الشارع الحكيم على مرتكبيها المباشرين لها والمشاركين فيها تخطيطاً ودعماً مالياً وإمداداً بالسلاح والعتاد وترويجاً إعلامياً يزينها ويعتبرها من أعمال الجهاد وصور الاستشهاد، كل ذلك قد رتب الشارع عليه عقوبات رادعة كفيلة بدفع شرهم ودرء خطرهم والإقتصاص العادل منهم، وردع من تسول له نفسه سلوك مسلكهم، قال تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) المائدة:٣٣.

- **سابعاً: وسائل الوقاية من التطرف وما ينجم عنه من أعمال الإرهاب والتخريب:**

١) المبادرة إلى إزالة الأسباب المؤدية للجريمة، والعمل على إحقاق الحق وإبطال الباطل، والاحتكام إلى شرع الله تعالى وتطبيقه في مختلف شؤون الحياة، فلا شرع أوفى ولا أكمل منه في جلب مصالح العباد ودفع المفاسد عنهم، ولا أرفق منه ولا أقوم بالعدل ولا أرحم « ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » (المائدة:٥٠).

٢) بيان فداحة الضرر العام والخاص الذي يصيب الدولة والأمة والمجتمع والأفراد من جراء أعمال العنف والتخريب والتدمير.

٣) التربية الواعية الهادفة المخطط لها من أهل العلم والصلاح والخبرة، ووضع منهاج عملي واضح سهل ميسر لتحقيق ذلك.

٤) تحرير المصطلحات الشرعية وضبطها بضوابط واضحة، وذلك كمصطلح الجهاد، ودار الحرب، وولي الأمر، ما يجب له وما يجب عليه، والعهود: عقدها ونقضها.

نسأل الله – عز وجل – أن يحمي بلاد المسلمين وأجيالهم من كل سوء.

ولإعطاء أمثلة تطبيقية أريد ذكر كيفية تعامل الطفرة الثقافية مع قضيتين اجتماعيتين اتفق الجميع على الحاجة لتغيرهما الأولى المرأة والثانية ابداء الرأي.

# الفصل الخامس
# أمثلة تطبيقية
# قضية المرأة وقضية إبداء الرأي

# قضية المرأة وقضية إبداء الرأي

اخترت المثالين السابقين لأننا لو استقرأنا التاريخ القديم والحديث والمعاصر سنلاحظ أن هاتين القضيتين كانتا البداية لأي تغير اجتماعي نحو الأفضل أو الأسوأ ، من المرأة تبدأ الأسرة وبالتالي تكون اللبنات الأولى للمجتمع الإنساني ومن إبداء الرأي يبدأ تحديد مسار ذلك المجتمع الإنساني ، مما يعني أن المرأة توجد المجتمع والرأي يحدد مساره وغاياته وأهدافه، ولا غرابة إذاً أن يبدأ نقاش التغير الاجتماعي في ساحتنا الثقافية بهاتين القضيتين.

المسألة بالنسبة لليبراليين هينة جداً ولا تحتاج إلى نظر أو تفكير ، ببساطة لماذا الشريعة سواءً فيما يتعلق بالمرأة أو بالرأي ، هاهو الغرب متقدم علينا بما يعادل قرون والمرأة تتزوج من إمرأة أخرى ولكل صاحب رأي حق دستوري في أن يجاهر به ، نعم هناك بعض السلبيات لكلا الأمرين في العالم الغربي عموما والأمريكي خصوصا إلا أن السلبيات أمكن التعامل معها.

والسؤال الذي لم يجب عليه الليبراليون هو ، هل موقف الغرب من هاتين القضيتين تحديدا هو سبب تقدمه التقني علينا ، وسبب إنتشار ثقافته على مستوى العالم؟! بمعني لو فرضنا جدلاً أن المرأة الليبرالية في مجتمعنا اختارت أن تفعل ما يحلو لها ، واختار المجتمع أن يسمح لكل صاحب رأي بالمجاهرة به (يوجد اليوم حجر ثقافي واضح ومعلن رسميا في أمريكا بحجة محاربة الإرهاب) فهل سنصل إلى التقدم التقني والإنتشار الثقافي ؟! إن كان الجواب بنعم، فلماذا لم تتقدم المجتمعات العربية والأفريقية والآسيوية وأمريكا الجنوبية على الرغم من أن المرأة فيها تفعل ما تشاء وفيها يجاهر كل شخص برأيه؟! بل لماذا تستورد أمريكا وغيرها الرقيق الأبيض من هذه المجتمعات ونشاهد فيها إستبدال حرية التعبير عن الرأي بحرية القتال وبالسلاح الأمريكي ؟! وإن كانت قضية ترك المرأة تفعل ما يحلو لها ؟! فلماذا لا تتحجب ولماذا يمنع الحجاب؟ هل الفرنسية المحجبة تقف عائقاً أمام تقدم فرنسا والفرنسية التي تعلق مفتاح البغاء على رقبتها في شارع الشانزليزيه هي التي دفعت بعجلة تقدم ذلك المجتمع؟ وهل ترك المليشيات العنصرية في أمريكا تقول ما تشاء هو الذي ضمن للصناعة الأمريكية استمرار التفوق والعطاء والسماح للمسلمين بإبداء آرائهم هي التي تعيق الديمقراطية الأمريكية ؟! ولماذا نرى تايلند مثلاً تواجه مشكلة حقيقية من ترك المرأة تفعل ما تشاء أكثر من أمريكا نفسها؟ ولماذا يقتل الناس بعضهم بعضاً

في أفغانستان على الرغم انه لا يمكن منع أي أحد من قول أو فعل أي شيء .الجواب عند من يسمون أنفسهم ليبراليين هو أن هناك فرقاً بين المرأة الغربية الأمريكية وإبداء الرأي هناك وبين غيرهم، إذاً ما هو الفرق ؟ الجواب هو في الثقافة الغربية وتحديداً بسبب ارتفاع درجة التعليم وانعدام الأمية تقريباً ، ممتاز جداً.. فلماذا لا يطالب الليبراليون برفع درجة التعليم ومحو الأمية في بلادنا ثم يطالبون بتحرير المرأة؟! يقولون إنهم يطالبون بتعديل المناهج، آسف أن أقول إنهم كذبوا، نعم كذبوا إنهم لا يطالبون بتعديل المناهج ولكنهم يسعون لحذف الدين من المناهج ، لو أرادوا تعديل المناهج لنظروا إلى القضية بكاملها والقضية بكاملها هي كل المناهج ومن يدرسها وبيئة تدريسها وطرق تقييمها، وهل يتسابق الكثير لأخذ تصاريح لأبنائهم و بناتهم ليدرسوا فيما يسمى بالمدارس العالمية هربا من المناهج الشرعية في مدارسنا النظامية أم رغبة في المناهج العلمية و طرق التدريس في المدارس العالمية؟ هل ما يدرسه الطلاب في جميع المراحل من الكيمياء ، الفيزياء ، الأحياء ، الرياضيات ، اللغات ، الحاسب الآلي ، يتوازى مع ما يتم تدريسه في أمريكا ، هل إعداد المعلمين مثل ما هو في أمريكا وأوروبا وغيرها من الدول المتقدمة ، هل مدارسنا كمبان وكإدارات وكمراكز نشاط اجتماعي كما هي في أمريكا مثلاً ، في الواقع ان المواد غير الشرعية بحاجة لتعديل في فحواها أكثر من المواد الشرعية ، وهناك مواد ومهارات يجب تدريسها للطلاب في جميع المراحل ، ولكن ضيق أفق وسوء طوية من يسمون أنفسهم بالليبراليين تجعلهم يركزون على أمر واحد وقضية واحدة ألا وهي تنحية الشريعة عن الحياة العملية ثم تنحيتها تماماً ،(أنظر فصل المناهج الشرعية) . ويظل أمام الليبراليين سؤال يجب أن يجدوا له جواباً ، لماذا تريد فرنسا أن تلغي الحجاب؟! ودعونا من الإجابة السخيفة التي تقول إن منع الحجاب هو تطبيق لمنهج فصل الدين عن الدولة، فالدين في فرنسا والغرب كله ليس مفصولاً عن الدولة ودعونا من المماحكة، الدين في الغرب يشترك مع الدولة بعد أن كان في القرون الوسطى يسيطر رجال الدين على الدولة .

التنويريون أو أهل العصرنة دافعوا عن ثقافتنا الإسلامية وتصدوا لنفس التهم الغربية للمرأة بطريقتهم الخاصة، فها هي المرأة لا يمنعها مبدأ الحجاب من أخذ رأيها ولا من العمل في بيئة واحدة مع الرجل والحق أن التنويريين قاموا بجهد يحمدون عليه في مواجهة سخف المتطرفين من الليبراليين فالمنطق عند الفضلاء والعقلاء لا يكاد يجد رابطاً بين خلع الحجاب والتبذل وبين التقدم التقني والمدني، أما المشايخ فموقفهم من المرأة ليس مستغرباً بل ومتوقعاً ، وهو اللامبالاة غير المتعمدة وقد أضاعوا فرصة ثمينة كانت في أيديهم عدة سنوات فقد أنشأ لهم المثقفون الحقيقيون مؤسسة بكاملها بدأت قوية واستمرت لفترة غير قصيرة قوية بل ومتفوقة وهي الرئاسة العامة لتعليم البنات إلا إنها بدأت في التدهور عندما نسي القائمون عليها بعمومهم مهمتهم الرئيسية، فإذا بالمؤسسة تمتلئ بالسوس والنفعيين والكسالى وأصبحت مصدر إزعاج فتم إغلاقها فقام المشايخ وهبوا هبة رجل واحد وهب معهم المثقفون

الحقيقيون ولكل منهم هدف فالمشايخ فقدوا أرضية نفوذ و المثقفون الحقيقيون استيقظوا على أنهم لم يهتموا اهتماماً كافياً بالمؤسسة التي أنشأوها وكان يجب عليهم أن يصونوا المؤسسة ويتعهدوها قبل أن يدخلها السوس ويعدمها ، ويذكرني موقف بعض المدافعين في دفاعهم عن قضية إغلاق الرئاسة العامة لتعليم البنات بقصة عابد بني إسرائيل الذي علم أن هناك شجرة تعبد من دون الله فنزل من صومعته عازماً على قطعها ، فتمثل له الشيطان بصورة رجل فسأله عن وجهته فأخبره فحاول منعه بالاقناع فلم يتمكن فحاول منعه بالقوة فغلبه العابد وذهب ليقطع الشجرة ، ولكن الشيطان لجأ إلى الإغراء بالمال وأتفق مع العابد أن يعطيه كل يوم ديناراً وهو جالس في صومعته على أن يترك الناس والشجرة وشأنهم ، فقبل العابد العرض وذهب إلى صومعته ونسي قضيته ، واستمر الشيطان في إعطاء الدينار الموعود للعابد ثم قرر الشيطان أن يقطع الأعطية فغضب العابد وذهب ليقطع الشجرة وهذه المرة ليس غضباً لأن الناس يشركون بالله ولكن لأن الأعطية انقطعت وربما لإجبار الشيطان لتنفيذ الإتفاق ، قابله الرجل نفسه وحاول منعه بالقوة وفي هذه المرة غُلِبَ العابد وانتصر الرجل الشيطان وقال للعابد لن تقطع الشجرة ، ففي المرة الأولى كانت غضبتك لله فنصرك، وفي المرة الثانية كانت غضبتك للدينار فخلى بيني وبينك فغلبتك ولن تقطع الشجرة ولن تأخذ الدينار ، أما المثقفون الحقيقيون في دفاعهم عن نفس القضية فذكروني بمن لم يجدوا تمراً في النخل التي لم تؤبّر ، وليتهم وأظنهم فاعلون أن يستمعوا لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم- وهو يقول أنتم أعلم بأمور دنياكم .

سأتغاضى عمداً عن المستقلين وأصحاب فكر الغلو في قضية المرأة لأنني اعتقد بانعدام تأثيرهم في هذه القضية بالذات ، وأنتقل مباشرة إلى موقف المثقفين الحقيقيين من هذه القضية ، ينظر هؤلاء إلى قضية المرأة على أساس أنها دعامة من دعائم البيئة الثقافية الاجتماعية عند التعامل مع هذه القضية ولأهميتها وحيويتها فإنهم يؤكدون على وجوب إحداث تغيير اجتماعي فالمرأة كأم بحاجة إلى من يساعدها على تأدية هذا الدور ابتداء من الزواج وانتهاء بتزويج الأبناء والمشاركة في تنشئة الأحفاد، تفتقر بيئتنا الثقافية إلى آليات تساند المرأة وأسرتها في مهارة إختيار الزوج المناسب ويمكن إنشاء مثل هذه المؤسسات، ونظرة إلى المستشفيات المسؤولة عن رعاية السيدات أمهات المستقبل وحالتها المزرية تقريباً ، تجعل قضية سلامة المرأة وهي تريد أن تكون أماً أمراً يجب أن ينظر إليه بجدية ، ثم قضية رعاية الأطفال أثناء الثلاث سنوات الأولى من حياتهم يكاد لا توجد له مجرد فكرة لدراسته، والمرأة تحتاج كأم لمن يقدم لها المشورة والرعاية النفسية والمادية والمعنوية والثقافية لهذه الفترة الهامة من حياة الإنسان والمرأة كجدة تفتقد إلى مؤسسات ترعاها وتجعلها فخورة بما أنتجت من أجيال ومصدر خبرة للنشئ الصاعد والمرأة كزوجة وربة منزل بحاجة لإعانتها على رعاية منزلها و بحاجة لخدمات عامة كثيرة ليس هذا مجال ذكرها وأبسطها المواصلات العامة ، والمرأة كشخص مثقف بحاجة لجو تستطيع أن تساهم بإبداعاتها الإنسانية والثقافية

في بنـاء مجتمعها، من أجـل هذا كله يجد المثقفون الحقيقيون صعوبة في فهـم أطروحة الليبراليين الذين يريـدون للمـرأة أن تخلع الحجاب وتقود السيـارة ليحدث كل تعديل بعد ذلك ، ترى لمـاذا تعاني المرأة في مصـر وتونس والمغرب وإندونيسيا والفلبين ، فهي تقـود السيارة بل و الشاحنات ولا يوجد ما يجبرها على الحجـاب ؟ ويجد المثقفون الحقيقيون أنفسهم غـير قادرين على إستيعاب منهج التنويريين في التعامل مع القضيـة، فإرضـاء الغرب لا يعني ضمان مساعدته وإنشاء مؤسسـات تخدم المرأة كأم وزوجة وإنسان كما هو حاصل عنده ، والخدمات التي يقدمها الغرب هي الخدمات التي يضمن بها نقل سلبياته إلينا ( لنكون سواء ) ، الإشكالية تبرز عندما نعلم أن منهج الثقافة الغربية أصغر بكثير من أن يستوعب الدور الحقيقي للمـرأة المسلمـة كما هو في الإسلام و في نفس الوقت نلحظ أن المجتمع المسلم المعاصر أضعف بكثير من أن يقـف أمـام قوة الغرب في إصراره على عدم تمكين المجتمع المسلـم من تقوية نفسه كمجتمع وأول القوة هو النهوض بالمستوى الإنساني والثقـافي والاجتماعي للمرأة كأم وكزوجة وكمربية جيل أولاً ثم كإمرأة عاملة إن هي أحبت ثانياً . مأزق المثقفين الحقيقيين أنهم يتفقون مع ظاهر قول الليبراليين ويخالفون مقاصدهم ويتفقون مع مقاصد التنويريين ويخالفون مظاهرهم وعسى الله أن يهديهم لطريق يحتوون فيه التنويريين في هذه القضية بالذات ويسلطوا الضوء الساطع القوي جداً على الليبراليين في هذه القضية بالذات .

أمـا بالنسبـة لقضية حرية الرأي وكيفية تعامل الطفرة الثقافية معه فكان ما حدث في الحوار الوطني هـو التطبيـق العملي ، هنـاك إتفاق أن تعديلات مهمـة يجب أن تحـدث في مسألة إبداء الـرأي والسماح للـرأي الآخـر بالظهور ، وهي مسألة حساسة جداً بالنسبة للساحـة الثقافية في أي مجتمع إنساني فهيمنة الفـرد وسلوكياتـه علـى الجميع قضية لا يمكـن قبولها في أي مجتمـع إنساني متحضـر أو حتى متخلف ، الحيوانـات التـي تعيش في جماعات مثل القرود هي التـي اتفق فيها مجتمعهم علـى أن يصبح الأقوى هو الزعيـم الأوحد وعلية فالتنـازع على السلطات أمر طبيعـي، أما المجتمعات الإنسانية سـواء في البادية أو الغابات أو في أي مجاهل من مجاهل الأرض فإن هيمنة الفرد غير مقبولة ، حتى رؤساء العشائر والقبائل وزعمـاء قبائل في مجاهل أفريقيا وآسيـا و أوروبا ( المافيا ) و أمريكا (الشـركات) لهم مستشارون ولجان استشاريـة تعطـي الرأي للزعيم ، ويصبـح أمر الزعيم بمثابة إعلان لاتفـاق المستشارين .فلا غرابة إذن أن تكـون قضيـة إبداء الرأي وإحترامه في مقدمة أي تغيير اجتماعـي في أي مجتمع ، وتبقى مسألتان هما الكيفيـة والماهيـة وكلما كان نظام المجتمع يسمـح بالتعبير عن الرأي الحر بصراحـة قوية غير مؤذية ولا جارحة للغير ازداد الاستقرار الاجتماعي والسياسي وتحقق النمو الاقتصادي وانطلاق المشروع الحضاري لذلـك المجتمـع الإنساني ، والعكس صحيح كلما سمح المجتمع بكبـت آراء أفراده ومنعهم من التعبير عنها بصراحـة ووضـوح فإن النتيجة المتوقعة هي نمو الإتجاهات المتطرفة والضالـة وبذور إنعدام الولاء للوطن والمجتمـع وثوابته وتسـود الفردية فيصبح كل فرد نـواة لتكوين مجموعة مصالح خاصـة مما يؤدي حتماً

إلى التصارع المؤدي إلى التباغض وهي سمة كل مجتمع غير مستقر سياسياً ومنهوب اقتصادياً ويسير بخطى ثابتة نحو الهاوية وليأخذ مكانته بين الأمم الغابرة والدول المنقرضه، ومن سمة المجتمعات التي لا تسمح بالتعبير عن الرأي بصراحة مؤدبة وغير مؤذية للغير ويكثر فيها أمران الأول : نشوء التنظيمات السرية من المكبوتين عن إبداء رأيهم وما ينشأ عنها من تكوين عصابات بين الشباب وبالتالي الانفلات الأمني والثاني : اضطرار المستبدين بالرأي لتكوين بوليس قوي وأجهزة تجسس متقدمة للكشف عن الأمر الأول وكلا الأمرين كانا واضحين وموجودين بوضوح في الإتحاد السوفيتي قبل انهياره . وللتدليل على أهمية إبداء الرأي الحر بصورة مؤدبة وغير مؤذية للغير في إحداث تغيير اجتماعي نحو الأفضل، ونلحظ بجلاء التحسن السريع والمضطرد للمجتمعات التي نبذت الإستبدادية الرأي وتحولت إلى السماح للرأي الحر بالظهور وليس على ذلك مثال أقوى من أسبانيا وبعض دول أوروبا الشرقية ولستُ محتاجاً للتدليل على العكس أي الأثر المدمر للاستبداد بالرأي على تحويل المجتمع من الحُضارة والتقدم إلى العكس.إذن فالكيفية التي يحددها المجتمع لنفسه في إبداء الرأي مهمة في إحداث أي تغير اجتماعي منشود، وكما ذكرت إن هذه الكيفية يجب أن تكون مؤدبة وغير مؤذية للغير لأنها إن كانت غير مؤدبة ومؤذية للغير فإن إبداء الرأي والرأي الآخر سيتحول إلى جدال وإعجاب كل ذي رأي براية .

والمسألة الثانية في قضية إبداء الرأي هي الماهية ، أقصد عندما يتفق المجتمع أن حرية الرأي مكفولة ( بصرف النظر عن آلية التطبيق ) لكل فرد طالما أبدى الرأي بصورة مؤدبة وغير مؤذية للآخرين فإن المجتمع يتفق على الماهية أي ما هو الشيء الذي يمكن أن إعتباره رأياً ، وهنا تختلف المجتمعات بصورة متباينة فهناك مجتمعات تعتبر أي شيء يريد أن يقوله الفرد هو في حد ذاته رأياً ويمكن له أن يعبر عنه ويجاهر به وليس لأحد منعه من القول برأيه ولكنه يؤاخذ على أي سلوك نابع من إبداء هذا الرأي وهناك مجتمعات تفرق بين حرية الكلام وحرية الرأي فليس كل شيء يريد أن يقوله الفرد يمكنه قوله تحت غطاء حرية الرأي لأن الرأي في هذه المجتمعات هو النتيجة التي توصل إليها الفرد بعد تفكير ودراسة وتمحيص وهذه المجتمعات أيضاً تفرق بين السماح بإبداء ما تعتبره رأياً وبين السلوكيات التي تبنى على هذا الرأي، وهناك مجتمعات تعتبر أن الرأي هو الفكر الناتج عن استقراء ودراسة وتمحيص ويؤدي إلى سلوكيات فعلية ، فأي شيء لا يؤدي إلى سلوكيات فعليه ليس رأياً بل خواطر وأقوال ، وهناك مجتمعات تعتبر أن الرأي هو فقط طريقة جديدة لرؤية أمور متعارف عليها أصلاً وعليه فإن حرية الرأي مسموحة بما هو موجود أصلاً على الساحة الثقافية سواء بشرح أو تأييد أو إعتراض أو ما شابه ذلك وهناك مجتمعات تعتبر الرأي إستنباطاً واستخراجاً للإيجابيات من المسموح به واستنباطاً واستخراجاً للسلبيات من الممنوع، فمما سبق أعتقد إن محتوى مصطلح حرية الرأي معاني تتراوح بين عدم التفريق بين حرية الرأي وحرية القول وبين حصر حرية الرأي في تأييد المتفق عليه وذم الممنوع .

إلا أن الجميع متفق على التفريق بين حرية الرأي وممارسة ما يحتويه هذا الرأي ، والأمثلة موجودة على جميع ما ذكرت ففي أمريكا مثلاً لا فرق بين القول والرأي قل ما تشاء ولا تثريب، وعليه فحرية الرأي في نظر الليبراليين في طفرتنا الثقافية هي قل ما تشاء ولا تثريب ولكنهم لا يلتزمون بقضية التفريق بين السلوك وإبداء الرأي وهو مالا تفعله أمريكا أصلاً ، وهو ما يدل على أنهم ليسوا أصحاب مشروع ثقافي بقدر ما هم أصحاب أجندة خفية ، وفي بريطانيا وكثير من دول أوروبا الغربية هناك فرق بين حرية القول وحرية الرأي فليس كل ما تريد قوله يمكنك قوله في أي مكان وحرية الرأي مكفولة لنتائج الدراسة والتمحيص وهذا ما يفعله المستقلون في طفرتنا الثقافية وهو أحد الأسباب التي تجعل الليبراليين أحد أهم زبائن سوق المستقلين فالمستقلون يعوضون كسل الليبراليين في تكوين رأي ذي دلالة .

أما المجتمعات التي تعتبر الرأي هو فكر ناتج عن استقراء فكري و دراسة وتمحيص يؤدي إلى سلوكيات فعلية فهي المجتمعات المتدينة عموماً و هذه المجتمعات التي تنطلق سلوكياتها من مبادئ دينية لا تؤمن بفاعلية وأهمية أقوال ليس لها تطبيق عملي في الواقع الحاضر أو يمكن أن يكون لها تطبيق عملي فعلى في المستقبل ولو حتى من الناحية الافتراضية المنطقية فقط .

أما المجتمعات التي تعتبر الرأي هو فقط طريقة جديدة لرؤية أمور متعارف عليها أصلاً ومتفق عليها من حيث المبدأ فهي المجتمعات المتعصبة التي تبنى سلوكياتها ومبادئها من نظرة أحادية ،وهناك فرق كبير بين هذه المجتمعات المتعصبة والمجتمعات المتدينة فالمجتمعات المتدينة قد يبرز فيها فرق متعصبة وربما متعصبة لجزئية في الدين دون النظر إلى عمومياته ومقاصده، المثال الواضح للفرق المتعصبة مثل جماعة شهود ياهوذا، أما المجتمعات المتعصبة فلا تسمح بوجود دين أصلاً إلا إن كان مؤيداً لفكرتها الأصلية التي تتمحور عليها ، والمجتمعات الوثنية عموماً مثال على ذلك. أما المجتمعات التي تعتبر الرأي ليس إلا استنباط إيجابيات المسموح واستخراج سلبيات الممنوع، فهي في نظري المجتمعات التي قررت أن تنتحر بالسم البطيء وهي مجتمعات ترفض فكرة التغيير من أصلها.

وفي طفرتنا الثقافية أمثلة على ما سبق فالمشايخ أعتقد أنهم ينطلقون من تأييدهم لحرية الرأي على أساس إبداء طريقة جديدة ورؤية مختلفة لما هو حادث ومتعارف عليه أصلاً بينما ينطلق المثقفون الحقيقيون والتنويريون من اعتبار الرأي فكراً ناتجاً من استقراء ودراسة وتمحيص يؤدي إلى سلوك ، وأما بعض كتاب أعمدة الصحف والمشاهير في طفرتنا الثقافية فإنهم ينطلقون من اعتبار حرية الرأي هي إستنباط مزايا من المسموح واستخراج سلبيات من الممنوع ونراهم بوضوح عندما يبدأون في وضع تحاليل صحفية للكلمات والخطب ،ونظرات في ما كتبه صناع القرار الرسمي أو تفنيد لآراء المتوقفين عن التأييد.

# الفصل السادس
# المناهج الشرعية

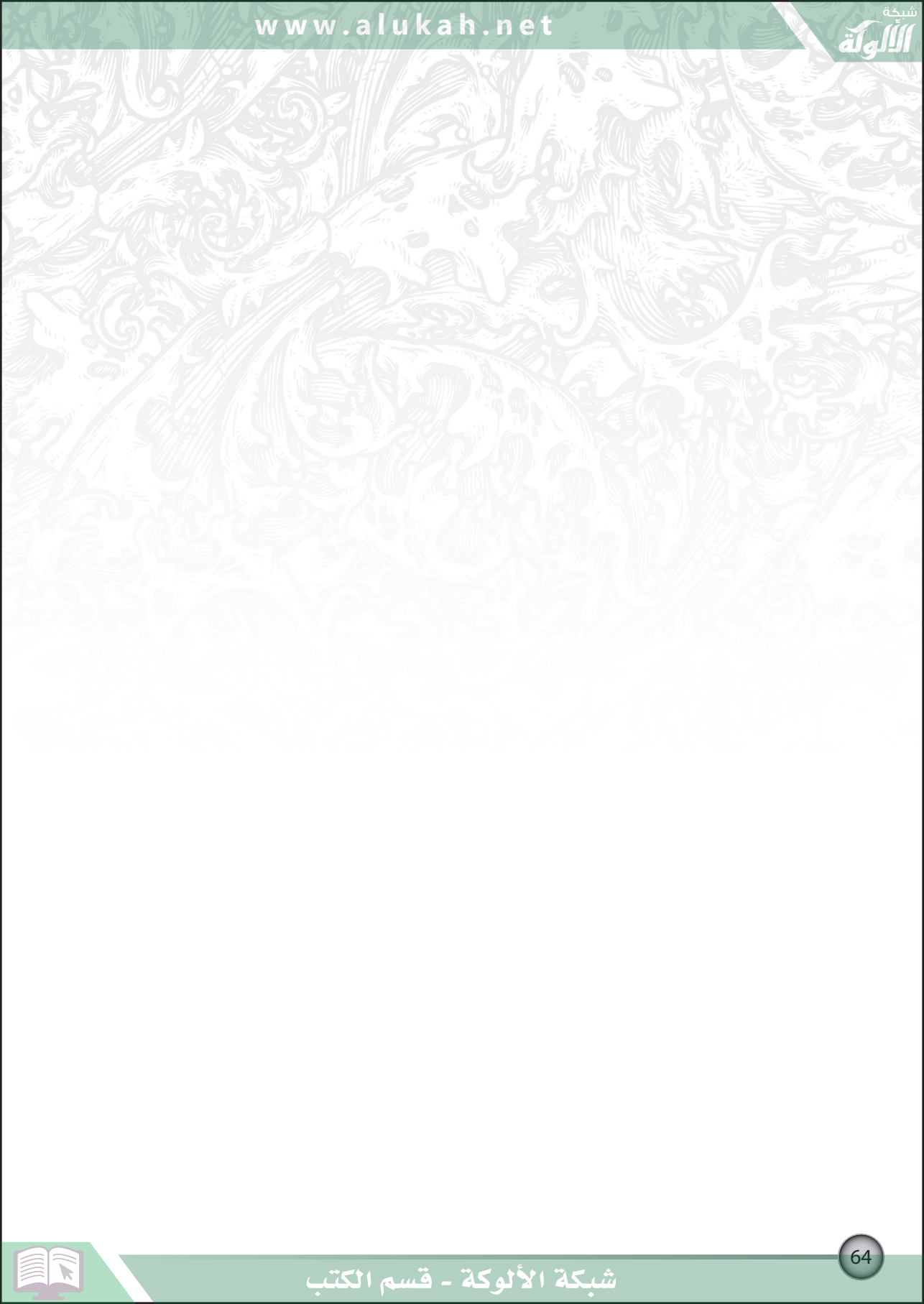

# المناهج الشرعية

(كتب بتصرف كفصل في كتاب ياحضرات المستشارين....الوطن أولاً)

المناهـج المعدة سلفاً لطلاب وطالبات التعليم تعتـبر أحد طرق التعليم ولها عيوبها ومميزاتها وهناك أنظمة تعليم لا تعترف بالمناهج المعدة مسبقاً أصلاً بل تعتمد منهجية التعليم المبني على البحث أو التعليم المفتوح أو التعليم في المنازل ، وجميع أنظمة التعليم التي تعتمد تدريس مناهج مسبقة الإعداد تواجه معارضة مـن البعض وتأييد من آخرين ، ومن أصعب مـا يواجهه معدو المناهج قضية التوفيق بين ما يجب تضمينه في المناهـج ومايمكـن الاستغناء عنه ، يعني أي منهج معد مسبقاً لابد أن يتضمن مالا يمكن الاستغناء عنه في موضوعـه وبما يتناسب مع مستوى الاستيعاب الذهنـي للدارسين . ويكفي ما سبق كمقدمة لأن موضوع المناهـج قضية تربوية وتعليمية كبيرة ومعقدة وذات أبعاد قد يخرجنا البحث فيها عن موضوعنا الرئيسي وهو المناهج التعليمية الشرعية في المملكة العربية السعودية .

• **أولاً :** المناهج (الشرعية و غيرها) في المملكة جزء من السياده الوطنية وبصرف النظر عن محتواها سـواء أرضى شعـوب الأرض وحكوماتهـم أو أغضبهم فهذا أمـر ثانوي ، فإن كانت هـذه المناهج ممتازة فالوطـن سيجنـي ثمارها وإن كانت غير ذلـك فالوطن أيضاً سيحصد نتائجهـا ، وعندما توجد إتفاقيات دولية تحدد ماذا يجب أن تدرس كل دولة ويكون لكل دولة الحق في التحفظ على محتويات المناهج في الدول الأخرى أو الاحتجاج على الأسلوب التربوي للدول الأخرى عند ذلك يكون لكل حادث حديث ومن المؤكد في ذلك الوقت ستجد أمريكا نفسها مطالبة من المجتمع الدولي بتغيير مناهجها الدينية في المدارس الكنسية كمـا هي مطالبة بإقفال جوانتنامو، أما أن تأتي الحكومة الأمريكيـة الحالية بمرسوم إمبراطوري تعسفي تريـد بموجبـه مـن كل شعب أن يغير مناهجـه الدراسية وأسلوب تربيـة أبنائه بما يتناسـب مع توجهاتها السياسية ومصالحها الاستعمارية فهو أمر لم يسبق لأي طاغوت ولا لأي ديكتاتورية القيام به حتى فرعون مصـر وهتلر وموسليني لم يطالبوا بذلك ولو نظرياً وتريد حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فرضه علينا وإلا الدمـار و القتـل بل و التعذيب وبإختصار استخدام طريقة هولاكـو في فرض هيمنته ، المطلوب منا أن نتخلـى عن قيمنا ومبادئنا وتاريخنا و إرثنا الحضاري بل وتحريفه بل وحذف قواعده وأساسياته ليتناسب مع توجهات حزب سرق الحكم بانتخابات اعترض على نتائجها مختلف أطياف شعب أمريكا نفسها ، إنها وقاحة وحماقة ليس أحقر منها إلا الاستجابة لها .

• **ثانياً :** تريد الحكومة الأمريكية أن تعدل المناهج بصورة تتنافى أصلاً مع الأسلوب العلمي المعتمد حتى في الأصول التربوية الأمريكية نفسها بمعنى تريد أن تغير المناهج بين عشية وضحاها فقط لتحذف منها ما تعتقد أنه لا يتماشى مع طبيعة حربها مع أعدائها الذين صنعتهم الولايات المتحدة بنفسها ، لقد خلقت أمريكا لنفسها أعداء بسبب سوء إختيار زعاماتها وسوء تصرفات ساستها وسوء قرارات قادتها فلماذا يريدون من الناس أن يغيروا مبادءهم؟ والمنطق يقول أن يغيروا هم سلوكياتهم العدوانية، لسنا مطالبين أن نغير مبادئنا لتنتصر حكومة أمريكا في حربها على أشباح، وهي بالتأكيد لن تنتصر،لأن أمريكا لم تدخل حرباً إلا وخسرتها وإن كسبت بعض المعارك وإن سببت خسائر لأعدائها أكبر من خسائرها ولكنها في النهاية تنهزم ولا تحقق أي هدف ذي قيمة تماما كما فعل الهمجي هولاكو قائد المغول الذي سبب خسائر لأعدئه بسبب همجيته و بطشه أكثر من تحقيقه مكاسب لشعبه بسبب حنكته و شجاعته،وعندما قرر تحكيم الياسق كدستور أعطى التاريخ دليلا ثبوتيا أن هولاكو ليس سوى أحمق قوي جاء في زمن تناسى العقلاء دورهم في قيادة البشرية وما أشبه المارينز بجحافل هولاكو، حرب واحدة فقط كسبتها أمريكا وهي حربها مع نفسها،هكذا هو تاريخها .

• **ثالثاً :** نحن مسلمون نعبد الله وحده لا شريك له ونؤمن برسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- بإعتباره خاتم الأنبياء والرسل وهو الذي أنزل عليه القرآن الكريم كتابنا ومنهج حياتنا ومن لم يعجبه ما في القرآن فاليشرب من البحر أو يذهب إلى أي جحيم يختاره وهذا يعني كل من لا يعجبه القرآن من العرب والعجم، وما قيل عن القرآن ينطبق على سنة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم .

لن نحاول أبداً أن نعتذر من أمريكا وحليفتها الدولة العبرية لأن القرآن يلعن اليهود الذين قالوا إن يد الله مغلولة أو يكفر من قال أن الله ثالث ثلاثة ، أن نقول إن اليهود و النصارى كفار مشركين و هم أهل كتاب فهذا أمر عقدي ولسنا مطالبين بتبريره أو حذفه من مناهجنا الدراسية، و العقيدة التي تعلمنا كفر كل من لايؤمن بالله ورسوله هى التي تعلمنا آدب التعامل معهم و أصول الحوار بيننا و بينهم وتحدد الحقوق التي لهم و الواجبات التي عليهم ولن نحاول أن نبرر لأمريكا أو لحليفتها الدولة العبرية أن الجهاد ومعه القتال في سبيل الله وهو ذروة سنام الدين إنه يعني جهاد النفس ومحاربة الدوافع الشريرة ، لسنا مطالبين من منطلق شريعتنا استرضاء الآخرين ليقتنعوا بأساسيات ديننا وإن كنا مطالبين بدعوتهم بالحسنى والموعظة للدخول في هذا الدين الذي ارتضاه الله تعالى لجميع البشرية. العقيدة التي تكفر من يجحد وجود الله أو ينكر رسالة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - أو يعبد أحدا مع الله ولو كان نبياً مرسلاً هي نفسها العقيدة التي وضعت أسس التعامل مع الكفار سواء كانو أهل كتاب أم غير ذلك وقد عرفت الدنيا كيف كان و مازال هذا التعامل، فكل أهل الكتاب و الكفار في بلاد المسلمين آمنين على أنفسهم

أكثر من أمنهم على أنفسهم في بلادهم والعكس ليس صحيحاً، العقيدة التي قتلت آلاف المصلين في القدس عندما دخلت جحافل جيوش الصليبيين، هي نفسها العقيدة التي تقتل و تعذب في العراق و أفغانستان وفلسطين وتدرس في المدارس الدينية اليوم وهي نفسها التي تريد مسح مباديء العقيدة التي فتح بها صلاح الدين القدس وعامل بها عمر أهل بيت المقدس وأهل مصر من القبط ومازال يعامل بها كل مسلم كل غير مسلم على أرض الإسلام.لسنا مطالبين أن نحرم أبناءنا من تدريس العقيدة التي يعبدون الله بها كاملة غير محرفةلأن عقيدة أمريكا فاسدة وهي تظن أن كل العقائد فاسدة كعقيدتها.

• **رابعاً :** أسلوب وطريقة طرح المناهج الشرعية في المملكة العربية السعودية تحتاج لتعديل وتصحيح وإضافة وحذف . . . . إلخ، وهذا أمر يتطلبه التطور والرقي والتقدم وهي أمور نريد أن نفعلها لأنها جزء من عقيدتنا وديننا كمسلمين إنطلاقا من قاعدة إننا خلفاء الله في الأرض وأننا مطالبون بعمارة الأرض وعدم الإفساد فيها وعدم إهلاك الحرث والنسل كما يفعل خريجو المناهج الأمريكية من الجنود في الجيش أو كبار رجالات المال، التعليم المدرسي عموما والمناهج الدراسية على وجه التحديد في المملكة العربية السعودية لسيت مناهج شرعية فقط (لأن الكهنوتية ليست من عقيدة المسلمين) بل المناهج الشرعية مثل الفقه والتوحيد والحديث والتفسير هي جزء من المناهج التي يدرسها الطلاب(لأن الإسلام منهج حياة) وليست كلها فهناك الرياضيات والعلوم والفيزياء والأحياء والتجارة . . إلخ (لأن الإسلام كعقيدة يأمرنا بعمارة الأرض) وهذه المناهج كلهابحاجة لتطوير وتعديل وحذف و إضافه فما بالنا نتناسى المناهج الأخرى، وكأننا لا ندرس لأبنائنا وبناتنا إلا توحيد وفقه وحديث ، إن المناهج العلمية الأخرى تحتاج إلى تعديلات وتنظيم وإعادة نظر أكثر من المناهج الشرعية ؛ وهذا الطرح الأخيرلا أوجهه لأمريكا أو غيرها لأنهم غير معنيين بهذه القضية ولأنهم ليسوا معنيين بتربية أبنائنا ؛ ولكن أوجهه للسعوديين الذين يهاجمون المناهج في المملكة ؛ فعلينا كمواطنين سعوديين أن ننظر نظرة شمولية لجميع المناهج ؛ وإن كنا نريد تأهيل أبنائنا وطلابنا ليصبحوا علمياً أقوياء ومنافسين لغيرهم في دول المنطقة والعالم فالأولى أن ننظر إلى المناهج العلمية وتطويرها وتحديثها وتغيرها بدلاً من المطالبة بتشويه المناهج الشرعية التي لا تتعارض مع المناهج الأخرى ولا تزرع إلا حب العلم والتعلم .

• **خامساً :** المطالبون بتغير المناهج الشرعية في المملكة أناس انتهازيون فعلاً فهم يستغلون حرب أمريكا على الشبح الذي تمسيه الإرهاب ليحققوا مكاسب سياسية ومذهبية ، لماذا لم يتكلم هؤلاء من قبل؟! لماذا يستغل هؤلاء لحظة ضغط على الوطن ليحققوا مكاسب مذهبية وسياسية ؟! المطالبون بتغير المناهج الشرعية في المملكة لا يقصدون إصلاح ألبته لأنهم لا يحددون مرجعيات الإصلاح وكل ما يريدونه حذف ما يتعارض مع توجهاتهم المذهبية والسياسية وهو أمر سخيف وانتهازي؛ وهم لا يريدون الإصلاح لأنهم لا

يطالبون بإصلاح المدارس والفصول ولم يطالبوا بإنشاء مدارس حديثة للبنات ولم يطالبوا بإنشاء مدارس محترمة في القرى والهجر ولم يطالبوا بتأهيل المعلمين والمدرسين ولم يطالبوا بتطوير الأداء الإداري التربوي ولم يطالبوا بميزانيات للبحث العلمي التربوي، باختصار لم يطالبوا بشمولية إعادة هندسة التعليم في المدارس السعودية وكل ما يطلبونه ببساطه إلغاء التعليم الشرعي تدريجياً ولسبب واحد هو أن يصبح الشباب من الجنسين بلا هوية شرعية مما يجعلهم مستعدين لقبول أطروحات سياسية ومذهبية تصب في مصالح من يعارضون التعليم الشرعي الذي نعبد الله به وهذه العبودية الحقه لله هي هويتنا في الدنيا و رفعتنا في الآخرة ورغم أنف من لا يقتنع.

• **سادساً :** أريد دليلاً علمياً واحداً يربط بين المناهج الشرعية في المملكة العربية السعودية وبين ما تسميه أمريكا إرهاب ، هل لأن أسامة بن لادن درس في السعودية ومدارسها ؟! أم لأن جوازاً سعودياً لم يحترق وجد في موقع حادث ١١ سبتمبر ؟! أتحدى أي إنسان أن يثبت أي علاقة ولو فرضية أن هناك علاقة بين المناهج الشرعية في المملكة والتطرف السياسي أو الغلو في الدين إن كان لدينا أي ملاحظة على المناهج الشرعية في المملكة فهو تحفظ عدم تطويرها لتشمل التطبيقات الشرعية للحياة المعاصرة وهذا يعني أنه يجب زيادتها وتطويرها وليس الحذف منها وتشويهها ، نحن بحاجة لتطوير المناهج الشرعية لتصبح قادرة على تفعيل الشريعة ومبادئها السامية في الحياه المعاصرة بحيث تمكن الطالب والطالبةمن الاعتزاز بدينه كمسلم . أتحدى أي مؤسسة علمية أن تثبت أن منهجية التعليم الشرعي في المملكة منهجية عنصرية عدائية ضد أي أحد أو تتعصب مع أي أحد .أتحدى أي دولة أو أي مؤسسة أو أي فرد أن يثبتوا أن المناهج الشرعية في المملكة كانت سبباً مباشراً أو غير مباشر في التسبب في أي عدوان على أي إنسان مسلم كان أو غير مسلم عربي كان أو أعجمي .

أن يكون أسامة بن لادن درس في السعودية ويحارب حكومة أمريكا اليوم فهذا لا يعني أنه يحارب أمريكا لأنه درس المناهج الشرعية في المملكة ولو أن كل من درس المناهج الشرعية في المملكة يحاربون أمريكا مثل بن لادن لأصبحت أمريكا جزءاً من تاريخ الإمبراطوريات البائدة ؛ أسامة بن لادن لا يحارب أمريكا لأنه درس المناهج الشرعية في السعودية أو لأن المناهج في السعودية تعلم الطلاب حرب أمريكا، بل مثله مثل كل من يحارب أمريكا لأن أمريكا تختار أحياناً قيادات متعجرفة لا تحسن إلا صناعة الأعداء لشعبها ولا تبغي إلا الفساد في الأرض ، فغيفارا وكاستروا وجميع شعوب أمريكا اللاتينية لا تعادي أمريكا لأن طلابها درسوا مناهج شرعية في السعودية ، أيمن الظواهري لم يدرس المناهج الشرعية في السعودية ، أبو مصعب الزرقاوي لم يدرس المناهج الشرعية في السعودية وطالبان لم يدرسوا في المدارس السعودية كل من ذكرتهم من المسلمين وغيرهم لم يحاربوا أمريكا لأنهم درسوا في المدارس السعودية، بل لأن أمريكا تريد

تغيير هويتهم الوطنية بالقوة واحتلال ثرواتهم بالبلطجة وقوة التدمير والسلاح ؛ بالله عليكم من المسؤول عن إخراج شخص للعالم مثل جورج بوش وزمرته هل هي المناهج الشرعية في السعودية.جماعة التكفير والهجرة هل ظهرت في ناس درسوا المناهج الشرعية في المدارس السعودية ؛ عبدة الشياطين هل تخرجوا من مدارس السعودية إن كان في المناهج الشرعية السعودية خصوصاً والمناهج السعودية عموماً عيب فهو أنها تجعل الطلاب مسالمين إلى درجة الاستسلام ولا تزرع فيهم روح التحدي والابتكار والمنافسة وأخذ زمام المبادرة . أستطيع أن أعطي أدلة على التسامح الذي تزرعه المناهج الشرعية في المدارس السعودية وليس أفضل من دليل على حسن تربية المناهج السعوديه لأبنائها من الأطباء والمهندسين والمهنيين السعوديين الذين يدرسون في الجامعات الغربية الأمريكية وغيرها هؤلاء الأطباء وغيرهم تفوقوا وأبدعوا وعرفهم كل من عرفهم بحسن السيرة والسلوك وجميعهم درسوا المناهج الشرعية في السعودية ؛ واستطيع أن أعطي أدلة على أن الهدف من مهاجمة المناهج الشرعية في السعودية ليس إلا من قبيل محاربة الإسلام نفسه من مجموعة من الجبناء، فلماذا لم يهاجم هؤلاء المناهج في أمريكا وفي دول أخرى على الرغم من علمنا بوجود عائلات المافيا في أمريكا أين درس أبناء هذه العائلات ؟! هل درسوا في المملكة العربية السعودية جماعة الباسك في أسبانيا ؟! أين درسوا في المملكة العربية السعودية الميليشيات المسلحة والنازيين الجدد في أمريكا ؟! هل درسوا في السعودية ، مدراء شركة إنيرون هل درسوا في المملكة العربية السعودية ؟، الجنود الأمريكان والبريطانيون في سجن أبو غريب هل درسوا في المملكة العربية السعودية؟ تجار النساء وتجار الجنس في الأطفال هل درسوا في المملكة العربية السعودية؟ مدراء المصانع التي تدمر البيئة بصور منهجية (في الهند و نيجيريا على سبيل المثال) هل درسوا في المملكة العربية السعودية؟ رؤساء شركات النفط التي دمرت نيجيريا وأفريقيا هل درسوا مناهج شرعية في المملكة العربية السعودية ؟ إن كنا نريد أن نقول أن سلوكيات الأفراد تدل على تأثير المناهج الدراسية التي درسوها فإن مشاكل العالم كلها ستكون دليلاً على سوء المنهج التربوي في المناهج الأمريكية بالذات .

• **سابعاً :** رضيت حكومة أمريكا أم أبت أحبت أم كرهت وافقت أو رفضت سيعلم المسلمون أبناءهم القرآن الكريم ونحن في المملكة بالذات سنعلم بناتنا بالذات القرآن وسنة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم- أولاً لنتمكن من تعليم ذريتنا القرآن وإن رغم أنف من لم يعجبه ذلك فنحن نعيش لنرضي ربنا وخالقنا و رازقنا ولسنا راغبين ولا متطلعين لرضى من ينهب ثرواتنا و يقتل أطفالنا و يدفن السموم في أرضنا، وهي (أي دولة هولاكو) أن أرادت أن تفرض غير ذلك بالقوة فما عليها إ لا أن تضع دبابة أمام كل بيت مسلم في السعودية وقاعدة طائرات في كل حي من أحياء مدن المملكة العربية السعودية وهي إن فعلت ذلك فستكون النتيجة المؤكدة إسلام أكثر الجنود الأمريكان عندما تستيقظ إنسانيتهم في بيئة الخير و الصلاح بعد أن ظلت مكبوتة في بيئة المادية وفي ظلام الأحقاد الأمريكية ، ومن لم يسلم من الجنود

فسيعـود فاراً أو مجنونـا كما في العراق ومن لم يفر ولم يصاب باكتئاب فسوف يقتل حتما من الخوف قبل السلاح.

• **ثامناً** : لنفترض جدلاً أن الحكومة الأمريكية نجحت في تغيير المناهج الدراسية الشرعية بل لنفترض أنهـا استطاعـت أن تلغي القرآن من المدارس في السعودية وتستبدل سيرة الرسـول والصحابة والتابعين بتاريـخ رؤسـاء أمريـكا أو بالسـيرة الذاتيـة لجورج بوش فقط . فهل هـذا يعني القضاء علـى ماتسميه الإرهاب؟! الجواب واضح من سلوك روسيا عندما فعلت نفس الشيء في الجمهوريات الإسلامية .

أجـزم و أقسـم بـالله العظيم أنه خير لنـا ولأمريكا و للعـالم أجمع بل و لكل كائن حـي ولكل جماد بل وللكـون كله بجميع موجوداته التي خلقها الله تعـالى أن ندرس الإسلام الصحيح بدون مجاملات لأمريكا وبـدون الخـوف منها ،ندرسـه و بفخر في المدارس و المعاهد و الجامعات لأننا إن لم نفعـل ذلك فإن مهمة تدريس الإسلام ستنتقل مـن المدارس المفتوحة و الفصول المضاءة و بالمناهـج التي يطلع عليها كل واحد إلى الغـرف المغلقـة والسراديب المظلمة و هي مراتع ممتازة لبكتريا التكفير وفيروسات فكر الغلو وبدلا من أن يتـولى التعليـم مدرسون و معلمات يمكن تطويـر أدائهم سيتولى التحريض جهلـة و متنطعون يحقنون أفكارهـم النتنـة في الشبـاب، وبدلا من مناهـج واضحة للنقد و التطويـر سيكون هنـاك تدريس لمؤلفات مغمورة ومنحرفة لفكر الخوارج ولكتب الخرافات ولملازم تنشر الفكر الشخصي لقيادات التكفير و الغلو، وعندهـا سينطبق على الجميع أمريكا و غيرها المثل العامـي (اللي ما يرضى بالحمى يرضى بالنفاضة) ولئـن كان الحق الذي في مناهجنا الشرعية كالحمى على من لا يحبونها فإن فكر التكفير واطروحات أهل الغلو كالنفاضة لهم،و لسوف تطالب أمريكا عندئذ بإعادة تدريس المناهج الشرعية في المدارس السعودية لأن العـالم بالمناهـج الشرعية ومن أفضلها المناهج السعوديـة في المدارس أفضل للجميع من الاجتهادات الشخصية في السراديب التي لا أكاد أشك أن بعضها أمريكية الدعم وجمهورية التوجيه على وجه التحديد ومن أراد أن يتهمني بتبني نظرية المؤامرة فله ذلك.

# الفصل السابع

# الموقف الاجتماعي

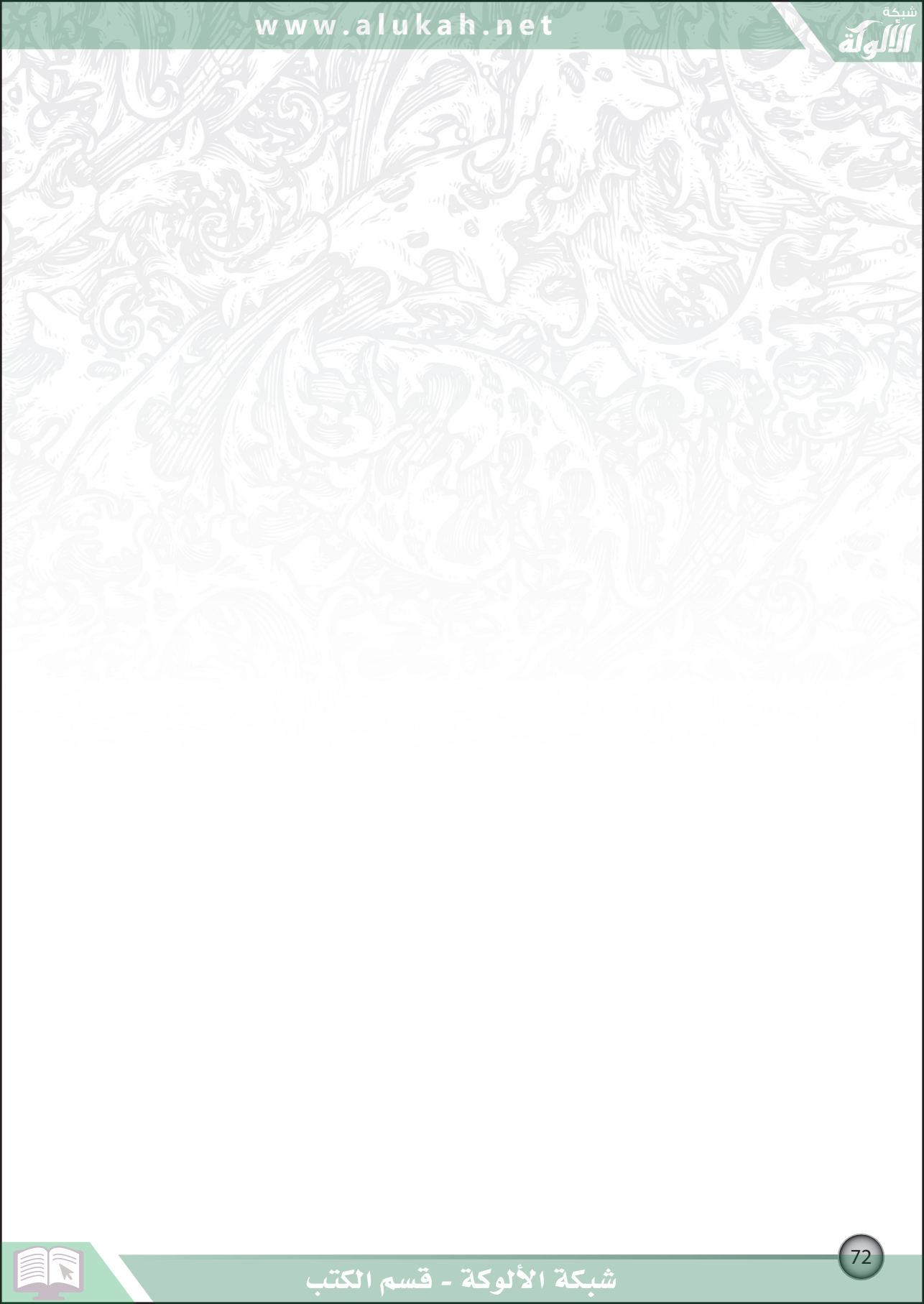

## الموقف الاجتماعي

والسمة الطاغية على مجتمع طفرتنا الثقافية حتى الآن هي التذبذب بين طرح الليبراليين وطرح المشايخ والمجتمع عموماً مشدود الأعصاب،ويريد جمع المتناقضات، فهو يريد أن يعطي نفوذ الليبراليين للتنويريين ليطبقوا فكر المثقفين الحقيقيين ، مع المحافظة على المشايخ كجزء من التراث الحي وتحنيط المستقلين ، وفي نظري إن ما يريده المجتمع من جمع المتناقضات ليس إلا دليلاً على إننا نعيش في طفرة ثقافية .

إن حرية الرأي في مجتمعنا قضية لا بد لنا أن نعترف أنها بحاجة لقرار لأننا ما لم نحسم أمرنا في هذه القضية فإننا لن نكون فقط على شفير الهاوية بل في الهاوية فعلاً ، ولا بد أن يكون لنا قرار يخصنا كأمة و كمجتمع في قضية حرية الرأي ، القائمون على الحوار الوطني يريدون الجمع بين المتناقضات ولكن بصورة غير الصورة التي يريدها المجتمع نفسه فالقائمون على الحوار الوطني يريدون أن يعطوا المشايخ نفوذ الليبراليين ليطبقوا فكر التنويريين مع تحنيط المثقفين الحقيقيين فالاحتفاظ بالليبراليين يفيد الموقف الرسمي كملبس أنيق عند الظهور أمام العالم الخارجي والأمريكي والأوروبي على وجه الخصوص .

حاول الحوار الوطني أن يمنع الفوضى وأن يكون إلتقاء الآراء صحيحاً وذو ناتج عملي يمكن تطبيقه فقرر المنظمون للحوار الوطني أن يكون المشاركون في الحوار من الظاهرين على الساحة الثقافية وبالدعوة الخاصة لمن يعتقدون أنهم أصحاب اتجاهات فكرية مؤثرة على الساحة وكان الحوار الوطني يركز على قضية الوحدة الوطنية وتم التركيز على إظهار مشاركة المرأة في الحوار وعلى الظهور بمظهر الاعتدال .

المتابعون للحوار الوطني من خارجه فهموا رسالة الحوار في الأمور التالية :

١- أن هناك من يستحق أن يشارك برأي وهناك من لا يستحق أن يشارك برأي ، فحتى البدايات إذن بدايات انتقائية فكيف نريد تطبيق حرية الرأي بدون وجود لحرية رأي كيف ؟! لا يمكن أن نعرف الكيف في الطفرات عموماً .

٢- يعتبر الحوار الوطني أن مشكلة الحجر على الرأي الحر هي مشكلة المثقفين فقط وذوي التأثير الظاهر ، وهذه قضية خطيرة فكل إنسان يريد حرية الرأي تماماً كما يريد الهواء للتنفس، وإعطاء الحق للبعض ومنعه عن الآخرين حتى لو أرادوا المشاركة فيه لدليل على ما ذكرته في النقطة الأولى وهو الحجر على حرية الرأي أصلاً .

٣- يريد الحوار الوطني أن يكلف كل إتجاه أن يتولى زعماؤه إقناع من يؤثر فيهم وهي طريقة لا تصلح أصلاً لتكوين حرية رأي في مجتمع ، اقناع الرموز أو أسرهم حتى يقوموا بتوصيل الرسالة إلى من يؤثرون فيهم هي طريقة الاستبداد الفكري وعماد منهج الاستبدادية .

٤- اعتبر الحوار الوطني أن بعض أفراد المستقلين ممن ليس لهم إتجاه مؤثر في المجتمع كتيار اجتماعى بينما تغاضى عن أفراد يمثلون اتجاهات فعلاً فتم التغاضي عن بعض المثقفين الحقيقيين كممثلين لفكر بعض الإسلاميين بينما أعتبرت الحداثة إتجاه وهي شخص واحد .

٥- التركيز على مشكلة مختلقة وليست موجودة أصلاً ، ألا وهي الوحدة الوطنية ، لا يوجد عندنا مشكلة فرقة وطنية أو حركات انفصالية أو فئات متناحرة ولا أدري كيف افترض القائمون على الحوار مشكلة غير موجودة ثم بدأوا بوضع الحلول لها ولذلك أصبح الحوار أقرب إلى جدل أبراج عاجية منه إلى ملامسة قضايا الناس الحقيقية .

٦- تم تمييع ما كان يتمنى المجتمع سماعه في الحوار مثل المشاركة في صنع القرار ، واحترام الممتلكات العامة أو على الأقل تحديدها والكيفية التي يمكن بها لأي فرد من إبداء رأيه وطريقة كيفية السماح للإبداع الفكري في الظهور والمشاركة .

٧- التركيز على المشاركة الثقافية للمرأة والتغاضي عن الأمور التي تهم المرأة فعلاً في حياتها العملية وفي كيفية مشاركتها التغير الاجتماعي التي تعتبر هي أهم أركانه فجعلت النساء في المجتمع يؤكدن لأنفسهن إنهن ممن لا يُهتم بهن، ولا يؤبه بهن.

٨- عدم التمثيل الحقيقي للتيارات الفكرية الموجودة على الساحة فعلاً وبالأخص، بالنسبة لموضوع المرأة فالتمثيل الفكري للمرأة لم يكن متوازياً ، هذا إن سلمنا بمبدأ أن شخصاً يتم تعيينه لتمثيل فكر مجموعة .

٩- التركيز على نفي التهم عن الوطن أعطت انطباعاً ، أن الغرض ليس تطوير المناخ الفكري عن الوطن بل هو الدفاع عن الموجود أصلاً مما يعني إننا لن نغير بل سوف نبقى على ما نحن عليه .

١٠- إعتبار الثانويات وتحقيقها بمثابة أمور جوهرية لو تحققت مثل قيادة المرأة للسيارة بينما تم إغفال أمور جوهرية مثل سلامة بيئة العمل للمرأة واحترام ذاتها ودورها الاجتماعي الذي ترضاه لنفسها كفرد وكمجموعة .

١١- الحوار الثقافي اختار منهجاً لمناقشة المسموح بنقاشه أصلاً وبطبيعة الحال كان يمكن أن يبدع الشيوخ في هذه البيئة ولكن الذي حدث هو أن المسموح به ليس فكر الشيوخ ومتطلعاتهم بل أسس

الفكر الليبرالي والتنويري مما يعني الاتفاق القسري على أساسيات يمكن أن يبني عليها الليبراليون أطروحاتهم والتنويريون سلوكياتهم وبالفعل تم تحييد المشايخ ، وتم ذلك بسبب نفوذ الليبراليين ، كيف يتفق حرية رأي ونفوذ ؟!. لا أدري ولكن هكذا تكون الطفرات .

١٢- اعتبار أن الحوار الوطني نجح جعل الأفراد في المجتمع يفقدون الأمل أصلاً في مجرد احتمال وجود رأي حر .

١٣- اعتبر الحوار الوطني أن الظاهرين على الساحة هم الممثلون الحقيقيون لكل رأي حر ونسي القائمين على الحوار أن الظاهرين على الساحة لم يظهروا بصورة طبيعية كما في المجتمعات التي تؤمن بحرية الرأي فعلاً ، فالصحف نخبوية في إختيارها وعلى ذلك فمعظم كتاب الصحف ليسوا نتاج منافسة أو أفضل من يمكن أن يكتب بل كثير منهم موظفون أصلاً ، والذين ظهروا بغير الصحف عن طريق فرض أنفسهم على الساحة ظهروا لأنهم فرضوا أنفسهم وليس لأنهم نتاج اقتناع بطروحاتهم كخيار، وقس على ذلك وبمعنى أدق إفترض الحوار الوطني أن مجتمعنا كان يتمتع بحرية رأي منذ عقود وعلى هذا فمن يظهر أنه مثقف هو بالفعل مثقف وهذه في ظني مشكلة وهي مشكلة تدل على أن من لا يعلم يظن أنه يعلم .

١٤- الإيجابية التي حققها مؤتمر «الحوار الوطني» هي أنه سمح لآراء مختلفة أن تجتمع وتتحدث في أمور محددة سلفاً ومجرد السماح للآراء أن تلتقي وتتحدث ليست حرية رأي بل هي بشرى بحدوث حمل بما نتمنى أن يكون حرية رأي ولكن، والحق يقال ،عندما يكون مجرد الكلام شبه ممنوع فإن التلاقي والكلام يعتبر إيجابية وخطوة للأمام وسواء فطن واعترف القائمون على الحوار الوطني لما سبق أم لا، فإن الرسائل التي سبق وذكرتها هي المفهوم العملي لما كان يدور و تظل الحقيقة قائمة أن هناك من فهم ما سبق كنتيجة لما حدث في الحوار ، وسواء فطن واعترف القائمون على الحوار الوطني أن المواطن العادي سواء من النساء أو الرجال ومن الشيوخ أو الشباب بل وربما الأطفال قد تضجر من تأكيد الحجر على حرية الرأي عن طريق تقنين هذا الحجر بعد أن نوقش في مؤتمر حوار وطني ، أقول سواء فطن واعترف القائمون على ما سبق أم لم يفطنوا، أو حتى إن أرادوا ألاّ يعترفوا فإن الحقائق تفرض نفسها وإن أنكرها من لا يريد أن يعترف بوجودها .

لماذا لم يوجد في الحوار الوطني آلية تسمح لكل صاحب أطروحة أن يأخذ فرصته ؟! لماذا لم تسمح لمن يريد المشاركة في نقاش الآراء المطروحة بالمشاركة ؟!. لماذا التعيين حتى في إبداء الرأي؟! أسئلة مطروحة أمام مؤتمر الحوار الوطني ومن المحبذ أن يجيب عليها ! فإن كان الجواب هو لمنع الفوضى ، فالرد أن الفوضى هي السماح لجذورها بالنمو وجذور الفوضى هي أن ييأس الأفراد من أن يستمع واحد لقولهم أو

أن يتلمس حاجاتهم أو يستجيب فعلاً لمطالبهم البسيطة والعملية والواقعية ، طالما كان ممنوعاً في الحوار الوطني مناقشة ما لا يمكن قوله فإننا سنواجه موقفاً مفاداه ( إن أصعب المشاكل على الحل هي المشاكل المعروفة مسبباتها ولكن لا يمكن التحدث عن تلك المسببات أو مناقشتها ) وسيتحول الحوار إلى طلاسم وأحسن تشبيه له سيكون المشي على قشر بيض أو على الشوك خوفا من الوقوع في المحظور أو الكلام في الممنوع ،ما لم يسمح لكل فرد أن يقول رأيه ضمن ضوابط تحميه كفرد وتمنعه من سلوك غير مضر اجتماعياً ونظامياً فإن الحوار الوطني سيكون رصاصة الرحمة على الأمل في رأي حر .

# الفصل الثامن

# ماهو المطلوب؟

## ما هو المطلوب ؟!

المطلوب أن نتعامل مع القضية الثقافية على أنها حاجة إنسانيةللمجتمع وليست مناورة إعلامية . وهـذا يعنـي أن نحاول توجيه ساحتنا الثقافية لتنمو في إتجاه نهضة الوطن الثقافية بدلاً من عشوائية الطفرة الثقافية التي نعيشها هذه الأيام .

وهنـاك فرق بين عشوائيـة الطفرة والسير في طريق نهضة الوطن ، الطفرة تظهر فجأة والنهضة تنمو نمواً طبيعياً ، الطفرة ليس لها أهداف والنهضة تسير نحو تحقيق هدف، الطفرة سلوك فردي أو ربما جماعي فوضوي وليس بالضرورة أن يتكون شريرة بل ربما تكون حسن النوايا و سلامة المقاصد هـي التي تصنـع الطفرة بل و تبقيها ،والنهضة حركة اجتماعيـة مدروسة ، الطفرة تعجب الزراع ولا تثبت أمام ريح ، النهضة تكوّن جذوراً ثم تؤتي ثماراً، الطفرة حدث ضخم يؤدي إلى جلبة وتشجيع أو استيـاء تماماً مثل مباراة رياضية هدفها الإمتاع والاستمتـاع ، والنهضة إتجاه واثق من نفسه هدفها صنع حضارة وإقامة نموذج حضاري .

الشعـر الجاهلـي يعتبر طفرة إبداعيـة في ثقافة العرب وعلـوم النحو والبلاغـة والسير والتاريخ والتراجم وغيرها من إبداعات ضخمة بعد الإسلام تعتبرنهضة ثقافية لنفس الأمة أي العرب ، الشعر الجاهلي على الرغم من جماله و إتقانه لم يجلب احترام الأمم للعرب،ثقافة الإسلام جعلتهم قادة ، حقق الإسلام للعرب ما كانوا يحلمون به في قصائدهم ومعلقاتهم ولم يلغ الشعر ولا المعلقات الجاهلية نفسها من حياتهم الثقافية بل حافظ عليها، لأن النهضة تستوعب الطفرات والطفرات تموت وتنتهي مـا لم تجد نهضة ثقافيـة تستوعبها ، يمكن للطفرة الثقافية أن تعيش في ظلال أو في محضن نهضة ثقافية ولا تحتاج النهضة الثقافية لطفرات حتى تبدأ أو لتستمر وهناك فروق في كل شيء بين الطفرة والنهضة .

والأصـل في المجتمعات الإنسانية أن تسير في طريـق النهضة (كل مولود يولد على الفطرة) «لقد خلقنـا الإنسـان في أحسن تقويم» «ولـو أن الناس آمنـوا واتقوا لفتحنا عليهم بـركات من السموات و الأرض» «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة»، ولكن الأطماع والشهوات وحب السيطرة ورفض القبـول بالعبودية لشرع الله تعالى وتنكـب الطريق عن منهج الرسل و الأنبياء أخرج الناس عن جادة الطريـق إلى تفـرق السبل، مالم توجـد عوائق فالأصل في بنـي البشر أن يتغلبوا علـى جميع الفوارق

الطبيعيــة جغرافية كانت أو عرقيــة أو فكرية ويتفقون على مافيه صالحهــم «وكذلك جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» .و في مجتمعنا كل شيء جاهز للنهضة الثقافية و مقومات النهضة الثقافية موجودة وهذه المقومات هي :

١- وجود التضجر من الواقع الثقافي المعاصر ورغبة في التغيير .

٢- وجود اتفاق على كيفية إحداث التغيير وهو الحوار والتفاهم .

٣- نمو نهضة ثقافية في تاريخنا العربي الإسلامي مازلنا نستفيد من نتاجها .

٤- المقومات المادية والخامات الأولية موجودة .

٥- وأخيراً التحدي .

- وليس أمام إبتداء هذه النهضة الثقافية التي نريدها أن تقيم حضارة ونموذجاً حضارياً إلا ثلاث عوائق :

١- نقص ثقتنا بأنفسنا وبقدراتنا ( وهم الغول الذي في داخلنا ) .

٢- التفكير الأحادي للقوة الأمريكية تماماً مثل التفكير الأحادي للتتر قبل إسلامهم .

٣- المثبطون أنصار التتار المعاصرون .

وللتغلب على العوائق وللإستفادة من جاهزية المجتمع نحن بحاجة للخطوات التالية :

• **أولاً :** فصــل المــال عن الثقافة ، وكما يريد أن يفصل الليبراليون الدين عن الحياة والعلمانيون الدين عن السياسة ، يريد المجتمع فصل المال عن الثقافة ، فليس من الممكن أن ندع رأس المال يملي علينا مبادئنا الاجتماعية وطروحاتنا الثقافية ، الثورة الشيوعية الثقافية ظهرت لمنع تحكم رأس المال في مصائر الناس ولكنهــا في نفــس الوقت ربطت مصائرهــم بحسن توزيعــه ، أي أنها لم تعالج الفكــرة الخاطئة وهي ربط الثقافــة برأســس المال علــى الرغم من معرفتها بمكمن الخطــأ ولكنها غيرت طريقــة التطبيق بجعل عدالة التوزيــع هــي عامل التغــير وتم التغيير فعلاً فلم يبق للشيوعيــة رأس مال ولا مجتمــع، والعالم الرأسمالي ربــط الثقافــة أيضاً بالاقتصاد وليس فقــط برأس المال فكل تغيير اجتماعي مرتبــط بالتغيير الاقتصادي وأصبــح مَنْ عنده مــال يفرض رأيه و مبادئــه وأطروحاته ورأينا المجتمع الإنســاني يعطي الاقتصاد زمام قيــادة البشرية، فــكان الإستعمار المباشر لنهب الخيرات وثبت أن بني الإنســان لا يقودهم المال بل الفكر والعقــل والثقافة، وعرف المستعمــرون هذه الحقيقة وطبقوها في بلادهم فلم يربطــوا الثقافة برأس المال ولكنهــم ربطــوا وسائل نشــر الثقافة برأس المال والاقتصــاد ،ولا أدري كم من الزمــن ستستغرق الشعوب الرأسمالية من الوقت لتكتشف الخطأ خصوصا ببعدهم عن منهج الرسل عليهم السلام، ولكن يبدو إنها

بـدأت تستوعـب الأمر فها نحن نرى المعارضة للعولمة الاقتصادية في الدول الصناعية أكثر منها في غيرها مـن الدول والسبب هو نفس السبب الـذي أسقط الشيوعية وطرد الإستعماروهـو إن بني الإنسان يريدون للعقل والثقافة أن تحكمهم وليس المال .

مـا حـدث في المنتدى الاقتصـادي في جـدة (٢٠٠٤م) هو ربط فج ووقـح وواضح لرأس المـال بالفكر الاجتماعـي، ومحاولة مـن بعض أصحاب رؤوس المال النفعيـين مستخدمين قوتهـم الاقتصادية لفرض أهوائهـم الجشعة على المجتمع، وهو تحدٍ سافر وفج وعرض لقدرة عضلات السيولة النقدية ، وكأن هؤلاء القارونيـين المعجبـين بأموالهم ومفاتيـح خزانتهم يريدون منا أن نقول ياليت لنـا مثل ما لقارون (إنه لذو حـظ عظيـم) .إن أهـم خطوات بناء نهضتنـا الثقافية ألا ندع المـال عاملاً مؤثراً فيها بـل خادماً مطيعاً لهـا ولقد قالها الأولون في هـذا المجتمع عندما يمتدحون الرجال الفضـلاء بقولهم ( أموالهم في جيوبهم وليست في قلوبهم ) ، يجب ألا يسمح المجتمع في بلادنا لأصحاب رؤوس الأموال بفرض أهدافهم الشخصية والنفعيـة كطروحات ثقافيـة ، مستخدمين الأموال التي جنوها من خيرات الوطن لتحطيم ثقافته، ولجعله مستعمـرة فكرية لمن يملكون القـوة الجسدية التي تمكنه من سرقة أموالهم ، هـؤلاء المستخدمون لقوتهم الاقتصاديـة يفرضون أهواءهم الجشعة على المجتمع هم في حقيقتهم خائفون على أموالهم أن تسرق كما سرقت أموال العملاء قبلهم وليسوا حريصين على ثقافة أمة أو مجتمع .

• **ثانياً :** الحرية ، ( أنظر معنى الحرية التي أقصدها في فصل إغتيال المصطلح ) وبداية الحرية تكون في التحكم في النتائج السلبية للبيروقراطية ، مثل الحرية والبيروقراطية كمثل زجاجة عطر ، الحرية هي العطـر البيروقراطية هي الزجاجة ، البيروقراطية تحـاول حبس الحرية أكبر فترة لأنها بدونها ليس لها قيمة، والحرية تحاول القيام بواجبها دائماً من جعل حياة الناس أكثر متعة وإفادة ، الحرية كائن محترم لا يفرض نفسه ولكنه واضح فهو يعلن دائماً عن نفسه كلما سنحت فرصة وكلما فتحت زجاجة العطر فاح شـذاه، ولكـن يجب عليك أن تأخذ العطـر بنفسك وتخرجه من الزجاجة ، الحريـة الفكرية وحرية الرأي يعتـبران ثاني أهم خطوة لإقامة نهضة ثقافية بعد فصل المـال عن الثقافة لأن الحرية والثقافة متلازمان والبيروقراطية والمال متلازمان، المال هو من يصنع زجاجات العطر التي تحبس العطر وتقول إنها تحافظ عليـه ، عند غياب تأثـير المال على الساحة الثقافية لن يكون هناك شـراء للذمم ولن يكون هناك تخويف بالتجويع ولن يكون هناك سوق نخاسة فكرية ولن يتحكم المال في عقل وفكر الإنسان .

• **ثالثـاً :** العزيمـة على الرشد ، يعني التصميـم على الاحتفاظ بمكتسباتنا الثقافيـة والتي أثبتت عبر العصـور إنها أعطتنا ميزة على بقية الحضـارات والثقافات مع عدم ممانعتنا أن يستفيد غيرنا من ينبوع ثقافتنـا فنحـن أمة لا تبيع الفضيلة ولا تسوق الحقيقة ، أثبت الزمـن أن العفاف ميزة في حضارتنا فعلينا

التمسك به وبكل ما يحميه ومنع كل ما يجرحه ، أثبت الزمن أن بر الوالدين ميزة في حضارتنا ، وأن الجنة تحت أقدام الأمهات ميزة و أنت ومالك لأبيك ميزة ، وأن ما يربو في أموال الناس لا يربو عند الله ، وأن البيع ليس مثل الربا ، وأن الخمر أم الخبائث ، وأن الحدود منعت الإنفلات الأمني ، وأن الزكاة ضمنت الاستقرار الاجتماعي ، وأن البعد عن الترف ضمن الأمن الغذائي ، وأن الجهاد ضمن للجميع الحق في الأرض والحياة ، وأن لا إكراه في الدين و أن الجزية خير من لا دين ولا حماية وهو خير مليون مرة من دعاوي التحرير الإستعمارية، وأن ترك الإسراف حافظ على الموارد الطبيعية وأن إماطة الأذى عن الطريق ضمنت حماية البيئة وأن الناس شركاء في ثلاث : الماء والهواء والعشب، منعت الإقطاع والاستبداد وأن التفضيل بالتقوى جعل الناس سواسية ولهم الحق في العدالة.

- **رابعاً :** الأمل والإبقاء عليه حياً ومنبعه الرجاء والأمل في الله والخوف منه .والبعد عن الإحباط،وهذا يعني التأكد من أن الوصول إلى الهدف ممكن ولكننا في نفس الوقت نعلم إننا عندما نصل إلى إقامة نهضة ثقافية فإننا ما زلنا بشر على كوكب الأرض وأن كوكب الأرض ليس إلا ذرة صغيرة في الكون ، وهذه الموازنة مهمة لأننا إن اعتبرنا أنفسنا عندما نقيم نهضة ثقافية قد فعلنا كل شيء وإننا أصبحنا قادرين على أي شيء وكل شيء تماماً كما تفعل البلطجة الأمريكية اليوم فإننا عندئذ لن نكون حضاريين ولن نكون أصحاب نموذج حضاري أو راعين لنهضة ثقافية بل سنكون بلطجية مستعمرين مفسدين في الأرض .

أحسبني أوضحت أن التغلب على العوائق لم يكن بحاجة إلى مال بل بحاجة للحذر من تأثيره التخريبي،ولكن هل هذا يعني أنه يجب أن نكون فقراء لنصل إلى نهضة ثقافية ، بالطبع لا ولكن المال يجب أن يكون في أيدينا خادماً لنهضتنا وليس في قلوبنا وعقولنا مسيطراً على نهضتنا ، نحن بحاجة للمال، وسنحصل عليه، لإقامة مشروعات المصانع والطرق وغيرها الناتجة عن نهضتنا، ولكننا لسنا بحاجة إليه لنبني القصور ومظاهر البذخ على إعتبار إنها نهضة ثقافية لأنها ليست كذلك .حسناً ، إن نحن أردنا إقامة نموذج حضاري عن طريق ابتداء النهضةالثقافية وإن نحن تغلبنا على العوائق التي في أنفسنا من نقص ثقة في النفس وفي قدراتنا وعلى العوائق التي في مجتمعنا من مثبطين ومن عوائق آتية من خارج مجتمعنا وإن نحن فصلنا المال عن الثقافة كمؤثر فيها وضمنا الحرية وكانت لدينا العزيمة على الرشد وأبقينا الأمل حياً في نفوسنا فهل سنصل إلى الهدف وهو أن نعيش في مجتمع يكون نموذجاً حضارياً . الجواب نعم وألف نعم ولكن بقي شيء واحد فقط هو التحرك ونبذ الكسل ، أي العمل ونبذ الاعتماد على الغير، فالطريق الممهد ليس ذو فائدة إن لم تسير فيه أليس كذلك ؟!، وكذالك طريق النهضه الممهد لن يوصلك اليها إن لم تسير فيه. بلا شك وبلا ريب وبكل تأكيد إن نحن تحركنا في الاتجاه نحو نهضة ثقافية سنصل إلى نموذج حضاري ، حدث ذلك عندما إنتقلنا من وأد البنات في العصر الجاهلي إلى وجود

نساء عالمات محدثات ، وحدث ذلك عندما انتقلنا من تبعيه المناذرة والغساسنة إلى قيادة فارس والروم، وحـدث ذلك عندما تحولت اليابـان من كومة حجارة بفعل القنابل النوويـة الأمريكية إلى قائد يتحكم في الولايات المتحدة نفسها وحدث ذلك عندما أرادت ماليزيا أن تكون متقدمة والصين أن تغير ثقافتها كثيراً جداً .

# الفصل التاسع

# التوقعات

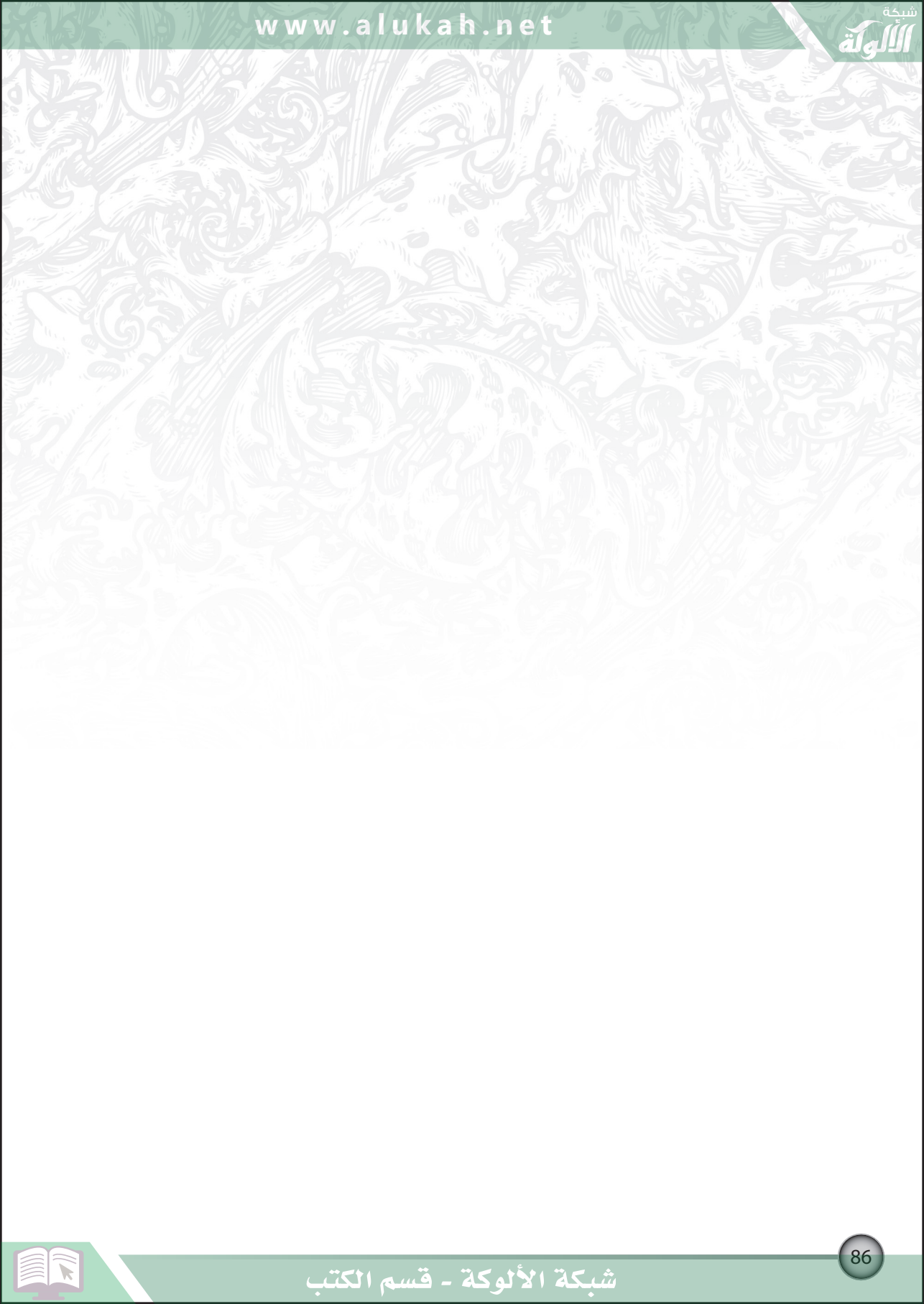

## التوقعات

أتواقع أن أحداث ساحتنا الثقافية ستستمر على ما هي عليه وأن الطفرة ستستمر وتأخذ وقتها وتنتهي، وسيكون لها آثار على الساحة ، إلا إنني اعتقد أن المحصلة هي ذهاب الزبد وبقاء ما ينفع ، ما هو الزبد وما هو ما ينفع؟! في الواقع أن جميع العاملين على الساحة الثقافية يمكن أن يجعلوا من أنفسهم زبداً ولكن بالتأكيد أجزم أن ما ينفع ( حتى لو رفضه الناس ) هو ما جعله الله سبحانه وتعالى نافعاً لهم في دنياهم وأخراهم ولذلك فإن أقرب الناس للبقاء على الساحة الثقافية ودوام تأثيرهم عليها هم المثقفون الحقيقيون ثم التنويريون ثم المشايخ ثم المستقلون ثم الليبراليون وأخيراً فكر الغلو .ولنبدأ بفكر الغلو باعتباره هو أول من سيختفي ، فكر الغلو تماماً مثل الطحالب التي تنمو على المياه الآسنة ، وتحتاج طحالب المياه الآسنة إلى ماء راكد ، وغياب ضوء الشمس ولا تستطيع هذه الطحالب أن تنمو بدون هذين العاملين وكذلك فكر الغلو يحتاج إلى أداة قمع تمنع الأفكار من الظهور والمناقشة و الحوار وقد يكون القمع موجودا (ربما بحسن نية) بغرض تنظيم الحوار أو السماح في إطار ضيق جداً وبهذه الطريقة تكون البيئة الثقافية راكدة غير جارية ولا متجددة، تماماً مثل الماء الراكد، أما العنصر الثاني وهو غياب ضوء الشمس فيتم توفيره لفكر الغلو عندما نغذيه عن طريق قفل الطرق على من يريدون البحث عن الرأي الحر فيضطرون للتواصل مع المجموعات المختفية عن ضوء الشمس، مما يؤدي الى تكوين مجموعات صغيرة و متفرقة و بعيدة عن ضوء الشمس ، وهكذا ينمو فكر الغلو ، فإذاً من الملاحظ أن نمو فكر الغلو لا يعتمد على قدراته الذاتية بقدر ما يعتمد على سلوكيات الساحة الثقافية نفسها ، وكل ما زادت العوامل التي تؤدي إلى ركود الساحة الثقافية وأهمها القمع الفكري وحجب ضوء الشمس والمحاولات العنيفة لردم مستنقعات الغلو كلما ازدادت رقعة الطحالب التي تنمو على المياه الآسنة، والعكس صحيح كلما زادت عوامل الحركة على الساحة الثقافية نقص تكون المستنقعات وأهم عوامل الحركة هي الحوار المقنع الذي لا يخاف فيه شخص من طرح اسئلته وشكوكه وإستفساراته، وكلما زاد ضوء الشمس والمتمثل في تنوير العقول والنفوس بقبول كل من يريد أن يصحح مفاهيمه أو يتوب من أخطائه.

في اعتقادي إن فكر الغلو لن يجد مياه آسنة في ساحتنا الثقافية فقد أثبت الإسلاميون بفئاتهم الثلاثة المشايخ والتنويريون والمثقفون الحقيقيون أنهم حركوا الساحة الثقافية مراراً ومنعوا الطحالب من النمو في أوقات الركود الثقافي العابرة ، فقد منعوا طحالب الإنحلال (وهو غلو) عندما كانت تسمي نفسها الحداثة ، ومنعوا طحالب الإفراط عندما أسمت نفسها مجاهدين(وهو غلو) ، ومنعت طحالب التفريط عندما أسمت نفسها المحبين لآل البيت(وهو غلو) ... الخ، لن يكون على ساحتنا الثقافية طحالب لأن

الإسلام كفيل بالتجديد والإجتهاد وهي عوامل حركة لا تدع المياه تركد وتصبح آسنه .ومن يسمون أنفسهم بالليبراليين أيضاً سينتهون فكل مسخ يكون في العادة عقيماً لا ينتج ذرية ومن يسمون أنفسهم ليبراليين هم في الواقع مسخ ثقافي فلاهم أتوا بجديد لم يعرف من قبل مثل المبتدعة مثلاً ولاهم مجتهدون ليصبحوا أصحاب مذهب ثقافي جديد ولاهم مجددون ليصبحوا أبطالاً مثلاً ولاهم تراثيون، إنما هم مسخ من ثقافة الغرب دون أن يكون لهم شخصيات مثقفي الغرب ، من يسمون أنفسهم ليبراليين ليس لهم جذور تبقى عليهم أحياء وليس لهم إمتداد استراتيجي يمتدون عليه وليس لهم شباب يحملون أفكارهم لينشروها وليس لهم مراجع ثقافية تبقى بعد فنائهم وليس لهم مرجعيات شخصية ذات تأثير ذاتي وإن كان لهم مرجعيات فتأثيرهم سلوطي يعتمد على قربهم من بعض مراكز القوى التي لن تضحي بسمعتها من أجلهم، من يسمون أنفسهم ليبراليين عما قريب سيصبحون بحاجة إلى دار للعجزة، هذا إن بقي لديهم شيء من مال هذا إن بقي للمال نفع في الوقت الذي سيحتاجون المال فيه .من يسمون أنفسهم ليبراليين هم طفيليون على الفكر الغربي وأطروحاته وعندما ينتشر الفكر الغربي بفعل ذاته يصبحون عالة عليه ويستنبذهم المثقفون الغربيون أنفسهم ، وهم أنفسهم لن يستطيعوا أن يجاروا التغيرات الثقافية في الغرب وسيصبحون بلا تاريخ في مجتمعهم ولن يقبلهم أي متحف في الغرب لأنهم ليسوا من التراث الغربي ولن يجد الليبراليون أمامهم سوى المثقفين الحقيقيين وبعض التنويريين وربما بعض المشايخ يرحمون ضعفهم ولا يشمتون بذلهم بعد صعودهم ، سينهزم من يسمون أنفسهم ليبراليين هذا إن عاشوا إلى نهاية المعركة والأرجح إنهم سيصابون بإحباطات و إضطرابات نفسية تؤدي إلى إحباطهم وإلى انفصام في شخصياتهم لن يبقى لليبراليين باقية في الساحة الثقافية وإن كان سيبقى بعض الخرائب كدليل على سوء أفعالهم وطويتهم،وإذا كنت أتوقع تلاشي الليبراليين كفكرفإنني أرجو لهم كأفراد الهداية للخير في الدنيا و الآخرة . و إذا كنت أتوقع فناء فكر الغلو فماهو توقعي للمشايخ والتنويريين والمثقفين الحقيقيون؟! تجمع الفئات الثلاث مصطلحاً واحداً ألا و هو الإسلاميون وأتوقع أن تحدث بينهم معارك جانبية كثيرة وسيحاول آخرون(من لا أبا لهم) استغلالها ولن يفلحوا ، وستنتهي هذه المعارك بأن يصبح بعض المشايخ مثقفين حقيقيين وبعض المثقفين الحقيقيين سيستفيدون من بعض مهارات التنويريين ، وسيقتنع كثير من التنويريين بالطرح الفكري للمثقفين الحقيقيين بعد أن يتأكدوا من أن محاولة إقناع أو استرضاء قادة الفكر الغربي بمنهج الإسلام دون أن يصبحوا مسلمين ليس إلا مجرد سراب «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى» الآية وأتوقع أن تزداد جذور المثقفين الحقيقيين أكثر خلال هذه الطفرة ولكن لن يظهروا كشجرة كبيرة إلا بعد إنتهاء الطفرة نفسها ، وبعد الطفرة سيكونون كشجرة يستظل تحتها المجتمع أجمع من الناحية الثقافية، أما البقية من المشايخ الذين يصرون على موقفهم أحادي التفكير سيجدون من يعطف عليهم ويقدرهم ويحترمهم ويجاملهم في آخر حياتهم، ولكنهم ليسوا عقيمين مثل الليبراليين

وسيكـون لهم ذرية ضعفاء ، أما بعض التنويريين الذيـن يصرون على ممارسة الإسلام بالأسلوب الغربي للثقافة فسيظلون موجودين دائماً كملاذ آمن لذوي الهمم الضعيفة ومحبي الإسترخاء .

أتوقـع أن يبقـى المستقلون كما هم، ففي كل ساحة ثقافيـة هناك من لا يستطيعون العيش مع الجماعة ويحبون التحليق خارج السرب ، سنسمع صرخات وزعيق من هؤلاء كل فترة فقط لجلب الإنتباه ثم يسكتون عندمـا لا يلتفـت إليهم أحدٌ .إننـي أتوقع إذاً أن تنتهـي الطفرة الثقافية تماماً كما انتهـت الطفرة المادية وسينتهـي كل من حصد الشهرة فجأة تماماً كما أفلـس كل من حصد المال فجأة ، وسيتمتع البعض بالمجد الـذي صنعه لنفسه في الطفـرة الثقافية تماماً كما استمتع بالمال من جمعه مـن الطفرة النقدية ، أما من سيبقى مؤثراً فاعلاً فهو ذو تأثير إيجابي في إحداث تغير اجتماعي هم المثقفون الحقيقيون .. والله أعلم .

## دعاء وشكر...!

ربي اغفر لي و لوالدي و أرحمهما كما ربياني صغيراً.

ربي أسألك أن تجزي والدي عني خير الجزاء فمن أفضاله الكثيرة إنه علمني كيف أكون رجلاً و لقنني دروساً كثيرة في الرجولة ،فاللهم اغفر له و ارحمه.

ربي أسألك أن تبارك في والدتي وتجزيها عني خير الجزاء، كما علمتني كيف يكون الأدب و حسن الخلق.

ربي أسألك الخير الجزيل لزوجتي ولبناتي، لأنهن يبرهنَّ دائما أن الحياة فيها ما يستحق أن يعمل من أجله، وأخص بالشكر إبنتي إيمان فقد كانت خير عون لي.

اللهم أشكرك أن يَسرَّتَ لي أفاضل الرجال ليعينوني.

**محمد بن عابد باخطمه**